مستقيم ـ ( صراط الذين انعمت عليهم ) يعني الأنبياء والمؤمنين ( والمغضوب عليهم ) اليهود ( والضالون ) النصارى ﴿ ش ﴾ والضلال الحيرة والعدول عن الحق والطريق يقال ضَلَّ عن الحق كما يقال ضل عن الطريق ومنه قوله عز وجل ـ ووجدك ضالا فهدى ـ والضلال النسيان والناسي للشيء عادل عنه وعن ذكره قال الله عز وجل ـ قال فعلتُها اذًا وانا من الضالين ـ أي من الناسين وقال ـ أن تضل احداهما فتذكّر احداهما الأُخرى ـ أي ان نسيت واحدة ذكرتها الاخرى والضلال الهلكة والبطلان ومنه قول الله تعالى ـ وقالوا أإذا ضللنا في الارض ـ اي بَطَلْنا ولحقنا بالتراب ويقال اضل القوم مَيِّتَهم أي قبروه * وقال النابغة

وآبَ مُضِلّوهُ بعين جليـة * وغُودِرَ بالجَولان حزم ونائل

أي قابروه

## ﴿ غريب سورة البقرة ومشكلها ﴾

﴿ ش ﴾ قال ابو محمد في المشكل اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في اوائل السور فكان بعضهم يجعلها اسماء للسورة تعرف كل سورة بما افتتحت به منها وكان بعضهم يجعلها اقساما وكان بعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله جل وعز يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة كقول ابن عباس رضى الله عنه في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقال الكلبي هو كتاب هاد حكيم عالم صادق ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن وارجو

أن لا يكون ما أريد بالحروف خارجا منها ان شاء الله فان كانت اسماء للسور فهي اعلام تدل على ماتدل عليه الاسماء من اعيان الاشياء وتفرق بينها فاذا قال القائل قرأتُ المص أو ص أو ن دل على ماقرأ بذلك كما تقول لقيت محمدا وكلمت عبد الله فتدل بالاسمين على العينين وان كان قد يقع بعضها مثل حم والم لعدة سور فان الفصل قد يقع بان تقول حم السجدة والم البقرة كما يقع الوفاق في الاسماء فتدل بالاضافات واسماء الآباء والكنى وان كانت أقساما فيجوز أن يكون الله سبحانه اقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال الم وهو يريد جميع الحروف المقطعة كما يقول القائل تعلمت أ ب ت ث وهو لا يريد تعلم هذه الاربعة الاحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اكتفى بذكر بعضها ولو قال تعلمت ح ط ص لدل ايضا على حروف المعجم كما دل بالقول الاول إلا أن الناس يدلون بأوائل الاشياء عليها فيقولون قرأت الحمد لله يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها هذا الاكثر وربما دلوا بغير الاول ايضا وانشد الفراء

لما رأيتُ أنَّ هاجي حُطي * أخذتُ منها بقرونٍ شُمْطِ

يريد في ابي جاد فدل بحطي كما دل غيره بأبي جاد. قال وانما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها وفضلها ولانها مبادى كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة ومباني اسمائه الحسنى وصفاته العلى واصول كلام الامم بها يتعارفون ويذكرون الله عز ذكره ويوحدون، وقد اقسم في كتابه العزيز بالفجر وبالطور وبالعصر وبالتين

والزيتون وهما جبلان ينبتان التين والزيتون يقال لاحدهما طور زيتا وللآخر طور تينا بالسريانية من الارض المقدسة فسماهما بما ينبتان واقسم بالقلم اعظاما لما يسطرون ووقع القسم بها في اكثر السور على القرآن فقال الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه كأنه قال وحروف المعجم لهو الكتاب لاريب فيه والٓمٓ الله أي وحروف المعجم لهو الله لاآله الا هو الحي القيوم والمص كتاب انزل اليك أي وحروف المعجم لهو كتابٌ انزل اليك فلا يكُن في صدرك حرج منه ويس والقرآن الحكيم وص والقرآن ذي الذكر وقٓ والقرآن المجيد كله أقسام وان كانت حروفا مأخوذة من صفات الله عز وجل فهذا فن من اختصار العرب وقل ماتفعل العربُ شيأ في الكلام المتصل الكثير الا فعلت مثله في الحرف الواحد المنقطع فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما أو لأن احداهما سبب للأخرى فيقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل ويقولون للنبات ندى لانه بالندى ينبت ويقولون مابه طَرَقٌ اي مابه قوة واصل الطرق الشحم فيستعيرونه مكان القوة لان القوة تكون عنه وكذلك يستعيرون في الكلمة الحرف مكان الحرف فيقولون مَدَهْتُهُ بمعنى مدحته لأن الهاء والحاء يخرجان جميعا من مخرج واحد ويقولون للقبر جدث وجدف وثوم وفوم ومغاثير ومغافير لقرب مخرج الفاء من الثاء ويقولون هرقت الماء وارقته ولصق ولثق وسحقت الزعفران وسهكته وغُمار الناس وخمارهم في أشياء لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرف من الحرف لتقارب بينهما وكما يقلبون الكلام ويقدمون ما سبيلُهُ أن

يؤخر ويؤخرون ماسبيله أن يقدم فيقولون * كان الزناء فريضةَ الرَّجْم *أي كان الرجم فريضة الزناء وكما يقولون *كأَنَّ لون ارضه سماؤه[1] *يريدون كأَن لون سمائه من غبرتها لون ارضه ويقولون اعرض الناقة على الحوض يريدون اعرض الحوض على الناقة ، وكذلك يقدمون الحرف في الكلمة وسبيله التأخير ويؤخرون آخر وسبيله التقديم فيقولون جبذ وجذب وبئر عميقة ومَعيقة واحجمت عن الأَمر واجحمت وبتلت الشيء اي قطعته و بَلَتُّه وما اطيبه وما ايطبه ورجل ارغل اي اغرل واعتاقه الأَمر واعتقاه واعتام الشيء واعتمى في اشباه لهذا كثيرة ، وكما يزيدون في الكلام الكلمة والمعنى طرحها كقول الشاعر * فما أَلُومُ البيْض ألاَّ تسخرا * يريدون ان تسخر ، ويزيدون إذ واللام والكاف والباء واشباه هذا مما ذكرناه في باب المجاز كذلك يزيدون في الكلمة الحرف كما قال المفضل العبدي *وبعضهُمُ على بعضٍ حنيق *أي حنق وقال آخر * اقول إذ خرَّت على الكَلْكالِ *اراد الكلكل وانشد الفراء

إنَّ شَكْلي وان شكلك شتيٌّ * فالزمي الخُصَّ واخفضي تَبَيَضّي

فزاد ضاداً في اشباه لهذا كثيرة ، وكما يحذفون من الكلام البعض اذا كان فيما ابقوا دليل على ماالقوا فيقولون والله افعل ذاك يريدون لاافعل ذلك ويقولون اتانا فلان عند مغيب الشمس او حين أي حين كادت تغيب *قال ذو الرمة

---

(١) عجز بيت لرؤبة صدره * ومهمه مغبرة أرجاؤه

فَلَمَّا لَبِسنَ اللَّيْلَ او حينَ نَصَّبَتْ  له من حذا آذانها وهو جانِحُ

اراد أوحين اقبل وقال الله عزوجل ـ ولو أن قرآنا سُيِّرت به الجبالُ أو قطعت به الارضُ أو كلم به الموتى ـ اراد لكان هذا القرآن مخذف * وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشطر والاكثر وينقصون البعض والشطر يوجزون به ويُومئون يقولون لم يَكُ فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين * ويقولون لم أبَلْ يريدون لم أُبَالِ * ويقولون وَلاكِ أفعلْ يريدون ولكن قال الشاعر

وَلاكِ اسقِني إنْ كانَ ماؤكَ ذا فَضْلِ (١)  ويحذفون في الترخيم فيقولون ياصاح يريدون ياصاحبي ـ يامالِ ليقض علينا ربُّكَ ـ أي يامالك وقال الله عزوجل ـ ألا يسجدوا للهِ ـ أي ألا ياهؤلاء اسجدوا * ويقولون عِمْ صباحا أي انعم صباحا وقال الفراء في قولهم سَتَرى إنما ارادوا سوف ترى فحذفوا الواو والفاء وكذلك امثالها سيكون كذا وسيفعلُ كذا تأويلها عنده سوف يكون وسوف يفعل * وفي قولهم بَيْنا إنما هي بينما وقال في الآن انما اصله ألأَوان كما قالوا الراحُ والرَّاحُ للخمر * وقال لبيد دَرَسَ المَنا بمُتالِعٍ فأبانِ (٢) أراد المنازل فقطع * وقال الطرماح يذكر بقرا

تتقي الشمس بمَدْرِيَّة  كالمحاليج بأيدي التلاّمِ

المدرية القرون ها هنا والمحاليج منافخ الصاغة شبه قرونها بها اذا نفخ والتلاّم

---

(١) عجز بيت للفرزدق صدره * فلست بآتيه ولا استطيعه *

(٢) عجزه  فتقادمت فالجيس فالسوبان

اراد التلاميذ يعني غلمان الصاغة فقطع وقال ابو دُوَاد

فكأنما تُذْكِي سنا بكُبا الحُبَا اراد نار الحباحب *وقال الشاعر

أناسٌ تنالُ الماءَ قبل شفاههم لهُمْ وارداتُ الغُرْض شُمُّ الأرانب

ارادالغرضوف وقال آخر في لجة امسكْ فلانًا عن فُل[1] اراد عن فلان

وقال العجاج قواطِنًا مكة من وُرْقِ الحَمِ اراد الحمام وانشدالفراء

قلتُ لها قِفي قالتْ قافْ اراد فقالت قد وقفت فأومأت بالقاف التي في

معنى الوقوف ﴿قال﴾ ولم نزل نسمع على السنة الناس الألفُ الآءُ الله والباء

بهاء الله والجيم جمال الله والميم مجد الله فكأننا اذا قلنا حمّ دللنا بالحاء على حليم

ودللنا بالميم على مجيد وهذا تمثيل اردت ان اريك به الامكان وعلى هذا

سائر الحروف، ومن ذهب هذا المذهب فلا اراه اراد ايضا الا القسم بصفات

الله فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته لا إله الا هو ﴿قال ابو محمد﴾

وروي ان بعض السلف واحسبه عليا رضى الله عنه قال للرحم نون هو

الرحمن وقد كان قوم من المفسرين يفسرون بعض الحروف فيقولون طه

يارجل ويس يا انسان ونون الدواة وقال آخر الحوت وحم قضى الله ماهو

كائن وق جبل محيط بالارض وصاد بكسر الدال من المصاداة وهي المعارضة

وهذا مالا نعرض له فيه لأنا لا ندري كيف هو ولا من أي شيء أُخِذَ

خلا صاد وما ذُهب اليه فيها ﴿ غ ﴾ (ذلك الكتاب) الكتاب جمع الحروف

فمعنى كتب الكتاب جمع حروفه ومنه كَتَبُ الخَرز ومنه كتبت البغلة أي

(١) عجز بيت صدره * منه تظل إبلى فى الهوجل

جمعت بين شفريها بحلقة ( وقال في المشكل ) اصل الكتاب ما كتبه الله في اللوح مما هو كائن ثم يتفرع منه معان ترجع الى هذا الاصل كقوله ـ كتب الله لأغلبنّ انا ورسلي ـ أي قضى الله ذلك وفرغ منه وقوله ـ لن يصيبنا إلاّ ما كتبَ الله لنا ـ أي ماقضى وقوله ـ لبرز الذين كُتبَ عليهم القتلُ ـ أي قضي لأنّ هذا قد فُرغ منه حين كُتب ويكون كتب بمعنى فرض كقوله ـ كُتبَ عليكم القِصاصُ في القَتلى ـ أي فرض وـ كتب عليكم اذا حضر أحدَكُمُ الموتُ. وقالوا ربنا لِمَ كتبت علينا القتال ـ أي فرضت ويكون كتب بمعنى جعل كقوله ـ كَتَبَ في قلوبهم الايمان ـ وكقوله ـ فاكتبنا مع الشاهدين ـ وقال ـ فسأكتُبُها للذين يتقون ـ ويكون كتب بمعنى أمر كقوله ـ ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ـ أي امركم أن تدخلوها ويقال كتب هاهنا جعل ايضا يُريد ادخلوا الارض التي كتبها الله لولد ابراهيم عليه السلام اي جعلها لهم ﴿غ﴾ واما ـ كتابٌ أنزلناهُ اليك ـ وذلك الكتاب ـ والكتاب فعل الكاتب يقال كتب كتابا كما يقال حَجَبَ حجابا وقام قياما وصام صياما فقد يُسمّى الشيء بفعل الفاعل يقال هذا درهم ضَرْبِ الأمير وانما هو مضروب الامير ويقال هؤلاء خَلْقُ الله لجماعة الناس وإنما هم مخلوقو الله ﴿غ﴾ (لاريب فيه) اي لاشك فيه (هدى للمتقين) أي رشدٌ لهم الى الحق ( الذين يؤمنون بالغيب ) أي يصدقون بأخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة واشباه ذلك ، فأصل الايمان التصديق قال الله سبحانه ـ وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كُنّا صادقين ـ أي وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين، ويقال ما أومنُ بشيءٍ مما تقول أي ما أصدق

بذلك فايمان العبد بالله تصديقه قولا وعقدا وعملا وقد سمى الله عز وجل الصلاة في كتابه ايمانًا فقال ـ وما كان الله ليُضيعَ إيمانَكم ـ أي صلاتكم الى بيت المقدس فالعبد مؤمن اي مصدّق محقق والله مؤمن أي مصدّق ماوعده ومحققه أو قابلٌ ايمانه، وقد يكون المؤمن من الامان أي لا يأمن إلاّ من أمَّنه الله (وقال في المشكل) فمن الايمان تصديق باللسان دون القلب كايمان المنافقين يقول الله تعالى ـ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ـ أي آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم كما كان من الاسلام انقياد باللسان دون القلب، ومن الايمان تصديق باللسان والقلب يقول الله سبحانه — إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة — كما كان من الاسلام انقياد باللسان والقلب، ومن الايمان تصديق ببعض وتكذيب ببعضٍ قال الله تعالى — وما يؤمنُ أكثرُهم بالله الا وهم مشركون ـ يعني مشركي العرب إن سألتهم من خلقهم قالوا الله وهم مع ذلك يجعلون لله سبحانه شركاء واهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض قال الله عز وجل ـ فلم يكُ ينفعُهم إيمانُهم لمَّا رأوا بأسنا ـ يعني ببعض الرسل والكتب إذ لم يؤمنوا بهم كلهم، واما قوله جل ثناؤه ـ إنَّ الذين أمنوا والذين هادُوا والنصارى والصابئين ـ ثم قال ـ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ـ فان هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم فقال من آمن منهم بالله واليوم الآخر كأنه قال ان المنافقين والذين هادوا يقيمون الصلاة ﴿قال ابو محمد في الغريب﴾ إقامة الصلاة ادامتها لأوقاتها والعرب تقول قامت السوق وأقمتُها أدمتها ولم أعطلها قال الشاعر

أقامتْ غزالةُ سوقَ الضِّراب　　لأهل العراقَين حولاً قميطا

ويقولون في خلاف ذلك نامت السوق اذا عُطلتْ أو كسدت ﴿ش﴾ والصلاة الدعاء قال الله عز وجل ـ وصلِّ عليهم إنَّ صلاتكَ سكنٌ لهم ـ اي وادع لهم ان ذلك مما يسكّنهم وتطمئن اليه قلوبهم وقال ـ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق قُرُبَاتٍ عند الله وصلواتِ الرسول ـ يعني دعاءه　وقال الاعشى يذكر الخمر والخمار

وقابلها الريح في دَنّها　　وصلّى على دَنّها وارتسمْ

أي دعا لها بالسلامة من الفساد والتغير، والصلاة من الله عز وجل الرحمة والمغفرة قال الله تعالى ـ إنّ الله وملائكته يصلون على النبي ـ وقال ـ هو الذي يُصلّي عليكم وملائكتُه ـ وقال ـ أولئك عليهم صلوات من ربهم ـ أي مغفرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ـ اللهم صل على آل أبي أوفى ـ يريد ارحمهم واغفر لهم، والصلاة الدين قال الله تعالى حكاية عن قوم شعيب ـ أصلاتُك تأمُرُكَ أن نترك ما يعبدُ آباؤنا ـ أي دينك ويقال قراءتُك ﴿غ﴾ (ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون (واولئك هم المفلحون) من الفلاح واصله البقاء ومنه قول عبيد

افلحْ بما شئتَ فقد يُبْلَغُ بالضَّـ　　ـعف وقد يُخْدَعُ الأريب

اي إبقَ بما شئت عش بما شئت من كيس أو غفلة فكأنه قيل للمؤمنين مفلحون لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم هذا هو الاصل ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزمَ وتكاملت فيه خلال الخير (أن الذين كفروا) ﴿قال ابو محمد﴾ الكفر في اللغة من قولك كفرتُ الشيء اذا غطيته يقال لليل كافر

لأنه يستر بظلمته كل شيء ومنه قوله جل وعز ـ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ـ يريد بالكفار الزراع سماهم كفارا لانهم اذا القوا البذر في الارض كفروه أي غطوه وستروه فكأنّ الكافر ساتر للحق أو ساتر لنعم الله عز وجل (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) بمنزلة طبع الله عليها والخاتمُ بمنزلة الطابع وانما اراد أنه أقفل عليها واغلقها فليست تعي خيرا ولا تسمعه واصل هذا أن كل شيء ختمته فقد سددته وربطته ثم قال عز وجل (وعلى أبصارهم غشاوة) ابتداء وتمام الكلام عند قوله (وعلى سمعهم) والغشاوة الغطاء ومنه يقال غشّه بثوب أي غطّه ومنه غاشية السَّرْج لأنها غطاء له ومثله قوله ـ لهم من جهنم مِهادٌ ومن فوقهم غواش ـ (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم) يريد أنهم يخادعون المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين بالله فكأنهم خادعوا الله سبحانه ومخادعتهم إياهم قولهم لهم اذا لقوهم (آمنا واذا خلوا الى شياطينهم) أي مردتهم (قالوا إنّا معكم إنما نحنُ مستهزؤن) وما يخادعون الا أنفسَهُمْ لأنّ وبال هذه الخديعة وعاقبتها راجعة عليهم (وهم لا يشعرون) والشيطان تقديره فيعال والنون من نفس الحرف كأنه من شطن اي بَعُدَ منه يقال شَطَنَتْ داره أي بعدت وقذفته نوى شطُونٌ أي بعيدة وشياطين الجن مردتُهُم وكذلك شياطين الانس مردتهم ايضا كان المارد منهم يخرج عن جملتهم ويبعد منهم لتمرده ومثله قولهم شاطر وشَطَار لانهم كانوا يبعدون عن منازلهم فسمي بذلك كل من فعل مثل فعلهم وان لم يعزب عن

اهله قال طرفة *في القوم الشُّطُرْ*(١) أي البداء والدليل على ان النون من شيطان من نفس الحرف قول أمية بن ابي الصلت في وصف النبي سليمان عليه السلام

أيُّما شاطنٍ عصاهُ عَكاهُ ثُمَّ يُلقى في السّجن والاغلال

عكاه أوثقه فجاء به على فاعل من شطن (في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق ومنه يقال فلان يمرّضُ في الوعد وفي القول اذا كان لا يصحّحُه ولا يؤكده (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناسُ) يعني المسلمين (قالوا انؤمن كما آمن السفهاء) يعني الجهلة ومنه يقال سَفِهَ فلان رأيه اذا جهله ومنه قيل للبذاء سَفَهٌ لأنه جَهْل (الله يستهزء بهم) أي يُجازيهم جزاء الاستهزاء ومثله قوله ـ نسوا الله فنسيهم ـ اي جازاهم جزاء النسيان وهذا ذكره ابو محمد رحمه الله في المشكل في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه قال ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان نحو قوله عز وجل ـ سَخِرَ الله منهم. ومكروا ومكر الله. وجزاء سيئة سيئة مثلها ـ هي من المبتدىء سيئة ومن الله سبحانه جزاء وقوله تعالى ـ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ فالعدوان الاول ظلم والثاني جزاء والجزاء لا يكون ظلما وان كان لفظه مثل لفظ الاول ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ـ اللهم إنَّ فلانا هجاني وهو يعلم اني لستُ بشاعر فأهجُهُ اللهم فالعنه عدد ما هجاني أو مكان ما هجاني اي جازه

---

(١) عجزه متعلق بآخر قبله وهما

ففداء لبني قيس على ما اصاب الناس من سر وضر
خالتي والنفس قدما انهم نعم الساعون في القوم الشطر

جزاء الهجآء وهذا الباب يتسع ولا بد من ذكره على ماذكره ابو محمد ثم نرجع الى ذكر الغريب ان شاء الله ﴿قال﴾ ومن ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله عز وجل ـ قتل الخرّاصون . وقتل الأنسان ما اكفره . وقاتلهم الله ـ واشباهُ ذلك ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة عَقْرا حَلْقا أي عقرها الله واصابها بوجع في حَلْقها ، وقد يراد بهذا التعجب من اصابة الرجل منطقه أو شعره أو رميه فيقال قاتله الله ما أحسن ماقال. وأخزاه الله ما أشعره . ولله دره ما أحسن ما احتج ، ومن هذا قول امرىء القيس في وصف رام أصاب

فهو لا تَنْمي رَمِيَتَهُ ماله لاعُدَّ من نفره

يقول اذا عُدّ نفره أي قومه لم يعدمهم كأنه قال قتله الله، اماته الله، وكذلك قولهم هَوَتْ أمُّـهُ : وَهَبَلَتْهُ أمه وثكلته أمه قال كعب بن سعد الغنوي

هوَتْ أمُهُ ما يبعثُ الصُّبْحُ غاديا وماذا يودّي الليلُ حينَ يؤوبُ

ومنه ان يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير كقوله عز وجل ـ ءأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله . وما تلك بيمينك ياموسى. وماذا أجبتم المرسلين. ومن يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ـ ومنه ان يأتي على لفظ الاستفهام وهو تعجب كقوله تعالى ـ عم يتساءلون ـ وقوله تعالى ـ لاي يوم اجلت ـ على التعجب ثم قال ـ ليوم الفصل ـ ومنه ان يأتي الكلام على لفظ الاستفهام وهو توبيخ كقوله عز وجل ـ اتأتون الذُّكر ان من العالمين ـ ومنه ان يأتي الكلام على لفظ الامر وهو تهدد كقوله تعالى ـ اعملوا ماشئتم ـ ويأتي على

لفظ الامر وهو تأديب كقوله عز وجل ـ وأشهدوا ذوي عدل منكم. واهجروهن في المضاجع واضربوهن ـ وعلى لفظ الأمر وهو اباحة كقوله تعالى ـ فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ـ وعلى لفظ الأمر وهو فرض كقول الله جل وعز ـ اتقوا الله. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ ومنه عام يراد به خاص كقوله تعالى حكاية عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ وانا أول المسلمين ـ وحكاية عن موسى عليه السلام ـ وانا اول المؤمنين ـ لم يرد كل المسلمين والمؤمنين لأن الانبياء عليهم السلام كانوا قبلهما مؤمنين ومسلمين وانما اراد مؤمني زمانه ومسلمي زمانه وكقوله ـ ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ـ ولم يصطفهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولا أممهم على أمته ألا تراه يقول وهو أعلى القائلين واصدقهم ـ كنتم خير أمة اخرجت للناس ـ وانما اراد عالمي أزمانهم وكقوله سبحانه ـ قالت الاعراب آمنا ـ وانما قاله فريق من الاعراب وقوله ـ والشعراء يتبعهم الغاوون ـ ولم يرد كل الشعراء ومنه قوله ـ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ـ وانما قاله نعيم بن مسعود لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم يعني ابا سفيان وعيينة بن حصن ومالك بن عوف وقوله ـ ماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون ـ يريد المؤمنين منهم يدلك على ذلك قوله في موضع آخر ـ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس ـ أي خلقنا وقوله ـ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ـ يريد النبي وحده صلى الله عليه وسلم، ومنه جمع يراد به واحد واثنان كقوله ـ وليشهد عذابهما

طائفة من المؤمنين واحدها فوق وكان قتادة يقول في قوله تعالى ـ إنَّ الذين ينادونك من وراء الحُجُرَات ـ هو رجل من القوم لا يمالؤهم على اقاويلهم في النبي صلى الله عليه وسلم ويسير مجانبا لهم فسماه الله طائفة وهو واحد، وقال قتادة في قوله تعالى ـ إنَّ الذين يُنادونَكَ من وراء الحُجُرَات ـ هو رجل ناداه يا محمد ان مدحي زين وان ذمي شَيْنٌ فخرج اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذلك الله تبارك وتعالى ونزلت الآية وقوله ـ فان كان له إخوة فلأمّه السُدُس ـ أي أخوَان فصاعدا وقوله عز وجل ـ والقى الالواح ـ جاء في التفسير أنهما لوحان ـ فقد صغت قلوبُكُما ـ وهما قلبان وقوله ـ اولئك مبرّؤن ـ يعني عائشة وصفوان ابن المُعطّل رضى الله عنهما وقال ـ ثم يَرْجِعُ المرسلون ـ وهو واحد يدلك على ذلك قوله ـ ارجع اليهم ـ ومنه واحد يراد به جميع، كقوله ـ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ـ وكقوله ـ إنّا رسولُ رب العالمين ـ وكقوله ـ يخرجكم طِفلاً ـ وقوله لا نفرّق بين أحد من رسله ـ والتفريق لا يكون الا بين اثنين فصاعدا وقوله ـ فما منكم من أحد عنه حاجزين ـ والعرب تقول فلان كثير الدرهم والدينار يريدون الدنانير والدراهم وقال الشاعر

هُمُ المولى وقدْ جَنِفوا عَلَيْنا وإنّا من لقائِهُمُ لَزُورُ

وقال الله تعالى ـ هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله ـ أي الأعداء ـ وحَسُنَ أولئك رفيقاً ـ أي رُفَقَاء وقال الشاعر

فقلنا أسلموا إنّا اخوكُمْ فقد بَرِئتْ من الإحَنِ الصدورُ

ومن ذلك أن تصف الجمع بصفة الواحد نحو قوله ـ وإن كنتم جُنُباً

فاطهروا. والملائكة بعد ذلك ظهير ـ وتقول قوم عَدْلٌ قال زهير

(متى يستجر قوم تقل سراتهم) هُمْ بَيْنَنَا فَهُمْ رِضًا وهُمْ عَدْلُ

وقال الشاعر * إِنَّ العواذلَ لَيْسَ لي بأمير

وقال آخر * المالُ هَذْيٌ والنساء طَالِقُ * ومنه ان يوصف الواحد بالجمع نحو قولهم بُرمةٌ أعشارٌ وثوب أهدام ونعل أسماط قال الشاعر

جاء الشتاء وقميصي أخلاقْ * ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فعل فيجعل الفعل لهما كقوله ـ فلما بلغا مَجْمَع بينهما نَسِيا حوتَهما ـ روي في التفسير ان الناسي كان يوشع بن نون ويدلك قوله لموسى ـ اني نسيت الحوت ـ وقوله ـ يا معشر الجن والأنس ألم يأتكم رُسُلٌ منكم ـ والرسل من الانس دون الجن وقوله ـ مرجَ البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لا يبغيان ـ ثم قال ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمَرْجَان ـ واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب وكذلك قوله ـ ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلْيَةً تلبسونها ـ وقد غلط في هذا المعنى ابو ذؤيب الهذلي ولا ادري أمِنْ جهة هذه الآيات غلط أم من غيرها قال يذكر الدّرّة

فجاء بها ما شئتَ من لَطَمِيَّة يدومُ الفراتُ فَوْقَها ويموجُ

والفرات لا يدوم فوقها وانما يدوم الاجاج ، ومنه أن يجتمع شيئان فتجعل الفعل لأحدهما او تنسبه الى احدهما وهو لهما كقوله ـ واذا رأوا تجارة او لهواً انفضُّوا اليها ـ وقوله ـ والله ورسولهُ أحقُّ أن يرضوهُ وقوله ـ استعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرةٌ إلاَّ على الخاشعين ـ وقال ـ عن اليمين وعن الشمال

قعيد ـ ارد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد وقال الشاعر وهو حسان بن ثابت رحمه الله

إنَّ شَرْخَ الشبابِ والشَّعَرَ الأَ سْوَدَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنونا

وقال آخر

نَحْنُ بما عِنْدنا وأنتَ بما عِـ ـنْدَكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ

ومنه ان يخاطب الشاهد بشيء ثم يجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله ـ حتى اذا كنتم في الفُلْكِ وجرَيْنَ بهم بريح طيبة ـ وقوله ـ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضْعِفُون ـ وقوله ـ ولكنَّ الله حبَّبَ اليكم الايمان ـ ثم قال ـ اولئك هم الراشدون ـ قال الشاعر

يا دَارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أَقْوتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبَدِ

وكذلك تجعل خطاب الغائب للشاهد كقول الهذلي

ياوَيحَ نفسي كانَ جِدَّةَ خالِدٍ وبياضُ وجْهِكَ للترابِ الأَعفرِ

ومنه ان تخاطب الرجل بشيء ثم تجعل الخطاب لغيره كقوله ـ فان لم يستجيبوا لكم ـ الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال للكفار ـ فاعلموا انَّما أنزل بعلم الله ـ يدلك على ذلك قوله ـ فهل أنتم مسلمون ـ وقال ـ فمن ربكما يا موسى وقال ـ فلا يُخْرِجَنَّكُما من الجنة فتشقى ـ وقال ـ انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا لتؤمنوا بالله ـ وقال ـ واذ أنشأكم من الأرض ـ يريد أباكم آدم عليه السلام ، ومنه ان تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوق أمرك للاثنين فتقول افعلا قال الله سبحانه وتعالى ـ ألقيا في جهنم كلَّ كفار عنيد ـ خزنة جهنم أو زبانيتها

قال الفراء والعرب تقول ويلك ارحلاها وازجراها وأنشد لبعضهم

فقلتُ لصاحِبي لا تحبسانا ... وبنزعِ أصولِهِ واجتزَّ شيحا

وأنشد

فان تزجُراني يا بنَ عفّانَ أنزجِرْ ... وإن تدعَاني أحمِ عِرضاً ممنّعا

قال الفراء ونرى ان اصل ذلك ان الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة نفر فجرى كلام الواحد على صاحبيه الا ان الشعراء اكثر شيء قيلا يا صاحبيّ ويا خليليّ ، وقال غير الفراء قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة رَكْبٌ ـ وتوعد معاوية روح بن زنباع فاعتذر روح فقال معاوية خليا عنه * اذا الله سنّى عقدَ شيءٍ تيسّرا * قوله سنى أي فتح قالوا وادنى ما يكون للآمر والناهي من الاعوان اثنان فجرى كلامهم على ذلك ووكل الله بكل عبد ملكين وامر في الشهادة بشاهدين * ومنه ان يخاطب الواحد بلفظ الجمع كقوله قال ـ رب ارجعون ـ واكثر من يخاطب بهذا الملوك لأن من مذاهبهم أن يقولوا نحن فعلنا يقوله الواحد منهم يعني نفسه فخوطبوا بمثل ألفاظهم وقال الله عز وجل ـ نحن نقص عليك احسن القصص ـ وقال ـ إنّا كلّ شيءٍ خلقناه بقدر ـ ومن هذا قوله ـ على خوف من فرعون وملائهم ـ أن يفتنهم ـ وقوله ـ فان لم يستجيبوا لكم ـ وقوله ـ فأتوا بآبائنا * ومنه ان يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان نحو قوله ـ ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون ـ وليس هذا من قولها وانقطاع الكلام عند قولها أذلة ثم قال الله ـ وكذلك يفعلون ـ وقوله

ـ ألآن حَصْحَصَ الحقُّ أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ـ هذا قول المرأة ثم قال يوسف صلى الله عليه وسلم ـ ذلك ليعلم أني لم أخُنْهُ بالغيب ـ أى ليعلم الملك اني لم أخن العزيز بالغيب وقوله ـ يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ـ انقطع الكلام ـ ثم قالت الملائكة ـ هذا ماوَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ المُرْسَلونْ ـ وقوله حكاية عن ملاء فرعون ـ يُرِيدُ أن يُخْرِجَكُمْ من أرْضِكُمْ ـ هذا قول الملإ ثم قال فرعون ـ فماذا تأمرون ـ ، ومنه ان يأتي الفعلُ على بنية الماضي ويقدر بحال أو مستقبل كقوله جل ثناؤه ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ أي أنتم خيرُ أمة ـ وقوله ـ وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنتَ قلتَ للناس ـ أي واذ يقول الله يوم القيامة يدلك على ذلك قوله تبارك وتعالى ـ هذا يومُ يَنْفَعُ الصادقينَ صدْقهُمْ ـ وقوله ـ أتى أمرُ الله فلا تَسْتَعْجلوهْ ـ يُرِيدُ يَوْمَ القيامة أي سيأتي قريباً فلا تستعجلوه قال ـ وقالوا كيف نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صبيًّا ـ أي من هو صبي في المهد وكذلك قوله ـ وكانَ الله سميعاً بَصيرًا . وكانَ الله على كُلِّ شَيْءٍ قدِيرًا ـ في أشباهٍ لهذا كثيرة في القرآن انما هو والله سميع بصير والله على كل شيء قدير وقوله ـ الله الذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بين يَدَيْ رَحْمَتِهِ ـ أي فنسوقه، ومنه ان يأتي المفعول به على لفظ الفاعل كقوله ـ لا عَاصِمَ اليَوْمَ من أمْرِ الله إلاّ مَنْ رَحِمَ ـ أي لا معصوم اليوم من أمر الله وقوله ـ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ـ أي مدفوق وقوله ـ في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ـ أي مرضى بها وقوله ـ أنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً ـ أي مأموناً فيه ـ وقوله وَجَعَلْنَا

آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ـ أي مبصوراً بها والعرب تقول ليل نائم وسر كاتم قال وَعْلَةُ الجَرْمِيّ

ولما رأيتُ الخَيْلَ تَتْرَى أثايخاً علمتُ بانَّ اليومَ أحمَسُ فاجرُ

أي يوم صعب مفجور فيه ومنه ان يأتي فعيل بمعنى مُفْعِلٌ نحو ، قوله ـ بدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ـ أي مبدعها ـ وعذاب أليم ـ أي مؤلم وقال عمرو بن معدي كرب

أمِنْ رَيْحَانَةَ الداعي السميعُ يؤرِّقني وأصحابي هُجُوعُ

يريد الداعي المسمع ، وفعيل يراد به فاعل نحو حفيظ وقدير وسميع وعليم ومجيد وبريء الخلق أي بارئُه من قوله برأ الخلق وبصير في هذا المعنى من بصر وان لم يستعمل منه فاعل الا في موضع واحد وهو قولهم رأيته لِحاً باصراً أي نظراً شديداً باستقصاء وتحديق، ومنه ان يأتي الفاعل على لفظ المفعول وهو قليل نحو قوله ـ انهُ كانَ وَعْدُهُ مأتيّا ـ أي آتياً (تم الباب بأسره والحمد لله : رجع القول الي ذكر الغريب ) قوله عز وجل ( ويمدّهُمْ ) أي يتمادى بهم ويطيل لهم ( في طغيانهم ) أي في عتوهم وتكبرهم ومنه قوله ـ إنّا لمّا طغى الماء ـ أي علا ( يعمهون ) يركبون رؤسهم[1] فلا يبصرون ومثله قوله ـ أفمَنْ يمشي مُكبّاً على وَجهِهِ أهدَى أمّنْ يَمشي سَوِيّاً على صِرَطٍ مُستَقيم ـ يقال رجل عَمِهٌ وعَامِهٌ أي جائر عن الطريق وأنشد أبو عبيدة

(١) في اساس البلاغة ومن المجاز ركب رأسه مضى على وجهه بغير روية لا يطيع مرشدا

وَمَهْمَهٍ أطرافُهُ في مَهْمَهِ * أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّهِ

(أُولئكَ الذين اشْتَرَوا الضَّلَالَةَ بالهُدَى) أي استبدلوا وأصل هذا ان من اشترى شيأ بشيء فقد استبدل منه (فما ربحت) تجارتهم والتجارة لا تربح وانما يُرْبَح فيها وهذا على المجاز وستراه بأسره ان شاء الله ومثله ـ فإذا عزم الأمر ـ وانما يعزم عليه (الذي استوقد ناراً) أوقدها (والصيب) المطر فيعل من صاب يصوب اذا نزل من السماء ﴿ ش ﴾ (يكادَ البرق) قال أبو محمد كاد بمعنى هم ولم يفعل ولا يقال كاد أن يفعل وانما يقال كاد يفعل قال الله تعالى ـ فذَبحُوها وما كادُوا يفعلُونْ ـ وقد جاء في الشعر

(بع عفاه الدهر طولا فانمحا) قَدْ كادَ مِنْ طُولِ البِلا أنْ يَمْصَحا

وأنشد الاصمعي

كادت النفسُ أنْ تفيظَ عليه * إذ تَوَى حشْوَ رِيطَةٍ وبُرُودِ

ولم يأت منها الا فَعِلَ يَفْعَلُ وتثنيتها وجمعها ولم يبن منها شيء غير ذلك وقال بعضهم قد جاءت بمعنى فَعَلَ وأنشد قول الأعشي

* وكادَ يَسْمُو الى الجُرفَيْنِ فارتفعا * أي سما فارتفع، قال ومثله قول ذي الرمة

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرضتْ * لعينيهِ ميٌّ سافراً كادَ يَبْرقُ

أي لو تعرضت له لبرق أي دهش وتحير ﴿ غ ﴾ (يخطَفُ أبصارَهُمْ) أي يذهب بها وأصل الاختطاف الاستلاب يقال اختطف الذئب شاة من الغنم ومنه يقال لما يُخْرَج به الدلو خُطَّاف لأنه يختطف ما علق به قال النابغة

خَطَاطِيفُ حجنٌ في حبال متينةٍ (تمدُّ بها أيدٍ اليك نوازعُ)

والحجن المتعقفة وهذا مثل ضربه الله عز وجل للمنافقين وبينه أبو محمد في المشكل - فقال تعالى (مَثَلُهُمْ كمثلِ الذى استوْقدَ ناراً) الآيات الذى هاهنا بمعنى الذين استوقدوا ناراً وربما جاءت مؤدية عن جميع قال الشاعر

ان الذى حانت بفلجٍ دماؤُهم هم القوم كل القوم ياأم خالد

اراد مثل المنافقين كمثل قوم كانوا فى ظلمة فاوقدوا ناراً فلما أضاءت النار ماحولهم أطفأها الله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فالظلمة الاولى التى كانوا فيها الكفر واستيقادهم النار قولهم لآاله الا الله وان محمدا رسول الله فلما أضاء لهم ماحولهم واهتدوا وآمنوا خلوا الي شياطينهم فنافقوا وقالوا انما نحن مستهزؤن فسلبهم الله نور الايمان وتركهم في ظلمات الكفر لا يبصرون ثم ضرب لهم مثلاً آخر شبيها بهذا المثل فقال - أو كَصَيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ - فالصيب المطر والظلمات ظلمة الليل وظلمة السحاب والرعد دليل على شدة ظلمة الصيب وهوله اراد أو مثل قوم في ظلمات ليل ومطر فضرب الظلمات لكفرهم مثلا والبرق لتوحيدهم مثلا فقال اذا قالوا لا اله الا الله واهتدوا كما يهتدي هؤلاء القوم بالبرق اذا لمع فيمشون وجعله يكاد يخطف الابصار لشدة ضوئه واذا نافقوا واستهزؤا وخلوا بشياطينهم فتابعوهم عَمُوا وَصَمُّوا كما يظلم على هؤلاء اذا سكن لمعان البرق فيقومون ﴿ قال في الغريب ﴾ والنفاق في اللغة مأخوذ من نافقاء اليربوع وهو جحر من جُحُرته يخرج منه اذا أخذ عليه الجحر

الذي دخل فيه فيقال قد نفق ونافق شبه بفعل اليربوع لأنه يدخل من باب ويخرج من باب آخر كذلك المنافق يدخل في الاسلام باللفظ ويخرج منه بالعقد والنفاق لفظ إسلامي لم تكن العرب قبل الاسلام تعرفه (أنداداً) أي شركاء أمثالاً يقال هذا ند هذا ونديده (وأنتم تعلمون) أي تعقلون (وادعوا شُهَدَاءَكُمْ) أي ادعوهم ليعاونوكم على سورة مثله: ومعنى الدعاء ها هنا الاستغاثة ومنه دعاء الجاهلية ودعوى الجاهلية وهو قولهم ـ يا آلَ فُلَانٍ: إنما هو إِسْتِغَاثَتُهُمْ وشُهَدَاؤُهُمْ من دونِ اللهِ آلِهَتُهُمْ سموا بذلك لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم والسورة تهمز ولا تهمز فمن همزها جعلها من أسأرت يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن ومن لم يهمزها جعلها من سورة البناء أي منزلة بعد منزلة قال النابغة في النعمان

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

والسورة في هذا البيت سورة المجد وهي مستعارة من سورة البناء والآية جماعة حروف قال الشيباني هو من قولهم خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم (التي وقودها) أي حطبها والوقود الحطب بفتح الواو والوقود بضمها توقدها (الناسُ والحجارةُ) قال المفسرون حجارة الكبريت (جنات) بساتينُ (وتجري من تحتها الأنهارُ) ذهب الى شجرها لا إلى أرضها لأن الأنهار قد تجري تحت الشجر (كلما رُزِقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزِقْنا منْ قَبْلُ) أي كأنه ذلك لشبهه (وأتوا به متشابهاً) أي يشبه بعضه بعضاً في المناظر دون الطعوم (ولهم فيها أزواجٌ مُطَهَّرَةٌ) من

الحيض والغائط والبول وأقذار بني آدم ـ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ـ لما ضرب الله عز وجل المثل بالعنكبوت في سورة العنكبوت وبالذباب في سورة الحج قالت اليهودُ ما هذه الأمثالُ التي لا تليقُ بالله فأنزل الله جل ثناؤه ـ إنّ الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ـ من الذباب والعنكبوت وكان أبو عبيدة رحمه الله يذهب الى أن فوق ها هنا بمعنى دون على ما بينت في المشكل وهو مبين في باب المقلوب ( وهذا باب المقاوب ) ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد ومن المقلوب أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتفاؤل كقولهم للديغ سليم تطيراً من السقم وتفاؤلاً بالسلامة وللعطشان ناهل أي سينهل يعنون يروى وللفلاة مفازة أي منجاة وهي مهلكة وللمبالغة في الوصف كقولهم للشمس جَوْنَة لشدة بياضها وللغراب أعور لحدة بصره وللاستهزاء كقولهم للحبشي أبو البيضاء وللابيض أبو الجون ومن هذا قول قوم شعيب عليه السلام ـ إنَّكَ لأَنتَ الحليمُ الرَّشيدُ ـ كما تقول للرجل تستجهله يا عاقل وتستخفه يا حليم قال الشاعر

فَقُلْتُ لِسَيِّدِنَا يَا حَلِيمُ ... إِنَّكَ لَمْ تَأْسُ اسْوَاً رَفِيقا

قال قتادة ومن الاستهزاء قول الله عز وجل ـ فلما أحَسُّوا بأسنا اذاهُمْ منهارْ كضونَ لا تَرْكُضوا وارْجِعُوا الى ما أتْرِفْتُمْ فيه ومساكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلونَ ـ وفي قول عبيد لِكندة طرف من هذا المعنى

هَلاَّ سألْتَ جُمُوعَ كِنْـ ... ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوْا أيْنَ أيْنَا

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ حِينَ انْهَزَمُوا يُرِيدُ أَيْنَ تَذْهَبُونَ ارْجِعُوا فأما قول الله عز وجل ـ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الكريمُ ـ فبعض الناس يذهب به هذا المذهب أي أنت الذليل المهان وبعضهم يريد أنت العزيز الكريم عند نفسك وهو تفسير ابن عباس لأن أبا جهل قال ما بين جبليها أعز مني ولا أكرم فقيل له ـ ذُقْ انَّكَ أَنْتَ العزيزُ الكريمُ ـ ومن ذلك أن يسمى المتضادان باسم واحد والأَصل واحد فيقال للصبح صريم ولليل صريم قال الله سبحانه ـ فأَصبَحَتْ كالصَّرِيمِ ـ أي سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار والنهار ينصرم عن الليل وللظلمة سُدفة وللضوء سدفة وأصل السدفة السترة فكأن الظلام إذا أقبل ستر للضوء والضوء ستر للظلام : وللمُستَغيثِ صارِخٌ وللمغيثِ صارِخٌ لأن المستغيث يصرخ في استغاثته والمغيث يصرخ باجابته : ولليَقينِ ظنٌّ وللشّكّ ظن لان في الظن طرفاً من اليقين قال الله جل ثناؤه ـ الذين يَظنونَ أَنَّهُمْ مُلاَقوا اللهِ ـ أي يستيقنون وكذلك ـ إِنّي ظننتُ أني مُلاقٍ حِسابِيَهْ . ورَأى المجرِمونَ النَّار فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوها . إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقيما حُدُودَ اللهِ ـ هذا كله في معنى اليقين قال دريد بن الصمة

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ بِالْفَارِسِيِّ الْمُصَرَّدِ

أي تيقنوا بإتيانهم إياكم : وكذلك جعلوا عسى شكّاً ويقيناً : ولعل شكاً ويقيناً كقوله تعالى ـ فِجاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتدونَ أي ليهتدوا : وللمشتري شار وللبائع شار لان كل واحد منهما اشترى ـ وكذلك قولهم لِكُلِ

واحدٍ منهُما بائعٌ لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو شار بائع قال الله عز وجل ـ وشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ـ أي باعوه وقال ـ ولبئس ماشروا به أنفسهم ـ وقال ابن مفرغ

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ

وبرد غلام كان له فباعه وندم عليه : ووراء يكون بمعنى خلف وبمعنى قدام ومنها المواراة والتواري فكل ما غاب عن عينك فهو وراء كان قدامك أو خلفك قال الله عز وجل ـ وكانَ وراءهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينة غَصْباً ـ أي أمامهم : وقالوا للكبير جلل وللصغير جلل لأن الصغير قد يكون كبيراً عند ماهو أصغر منه والكبير يكون صغيراً عند ماهو أكبر منه فكل واحد منهما صغير كبير : ولهذا جعلت بعض بمعنى كل لان الشيء يكون كله بعضاً لشيء فهو كل وبعض قال الله جل وعز ـ ولِأُبَيِّنَ لكُمْ بعضَ الذي تَخْتَلِفونَ فيه ـ وكل بمعنى بعض كقوله ـ وأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شيءٍ ويأتيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مكانٍ ـ وقال ـ تدمّرُ كلَّ شيء بأمر ربها ـ وجعلت فوق بمعنى دون في قول الله عز وجل ـ إنَّ اللهَ لا يستَحْيي أن يَضْرِبَ مثلاً ما بَعُوضةً فما فَوْقَها ـ أي فما دونها لأن فوق قد تكون دون عند ما هو فوقها ودون قد تكون فوق عند ما هو دونها : وخشيت بمعنى علمت قال الله سبحانه وتعالى ـ فخشينا أَنْ يُرْهِقَهُما ـ أي فعلمنا وهي قراءة أبي رحمه الله فخاف ربك ومثله ـ الا ان يخافا أن لا يقيما حدود الله ـ وقوله ـ فمنْ خافَ مِنْ موصٍ جَنَفاً أو إثْماً ـ أي علم ـ وأنذرْ به الذين يخافون

أن يحشروا الى ربهم ـ لان في الخشية والمخافة طرفاً من العلم : ورجوت بمعنى خفت قال تعالى ـ مالكم لا تَرْجونَ لِلّهِ وَقاراً ـ أي تخافون عظمته لان الراجي ليس بمستيقن فمعه طرف من المخافة قال الهذلي

إذا لسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالَفَهَا في بيْتِ نُوبٍ عَوَامِلِ

أي لم يخفه: ويئست بمعنى علمت من قول الله عز وجل ـ أفلَمْ يَيْئَسِ الذينَ آمنوا أنْ لوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَميعاً ـ لان في علمك وتيقنك به يأساً من غيره قال الشاعر

حَتّى اذا يَئِسَ الرُمَاةُ وأرْسَلُوا غُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أعْصَامُهَا

أي علموا ما ظهر لهم فيئسوا من غيره وقال الآخر

أقُولُ لَهُ بالشِّعْبِ إذْ يأسِرُونَنِي أَلَمْ يَيْئَسُوا أنِّي ابْنُ فارِسِ زَهْدَمِ

أي ألم يعلموا ﴿ ومن المغلوب ﴾ أن تقدم ما يوضحه التأخير وتؤخر ما يوضحه التقديم كقول الله جل وعز ـ فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ـ أي مخلف رسله وعده لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل فتقول أخلفت الوعد وأخلفت الرسل وكذلك قوله ـ فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلا رَبَّ العالمينَ ـ أي فاني عدو لهم لان كل من عاديته عاداك وكذلك قوله ـ ثمَّ دَنا فَتَدَلّى ـ أي تدلى فدنا لانه تدلى للدنو ودنا للتدلي ومنه قوله ـ بَلِ الانْسانُ على نَفْسِهِ بَصيرَةٌ ـ أي بل على الانسان من نفسه بصيرة يريد شهادة جوارحه عليه لأنها منه فأقامه مقامها وقال الشاعر

تَرى الثَّوْرَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وسائِرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجْمَعُ

أراد مدخل رأسه الظل فقلب لأن الظل التبس برأسه فصار كل واحد منهما داخلا في صاحبه : والعرب تقول أعرض الناقة على الحوض يريد أعرض الحوض على الناقة لأنك اذا أوردتها الحوض اعترضت بكل واحد صاحبه وقال الحطيئة

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعَيْرُ مُمْسَكٌ ... عَلَى رَغْمِهِ ما أَمْسَكَ الْحَبْلَ حافِرُهْ

وكان الوجه أن يقول ما أمسك الحبل حافره فقلب لان ما أمسك فالحافر ممسك للحبل لايفارقه ما دام به مربوطاً والحبل ممسك للحافر وقال الاخطل

عَلَى الْعِيارَاتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ ... نَجْدَانَ أَوْ بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

وكان الوجه ان يقول قد بلغت سوآتهم بالرفع نجدان وهجر فقلب لان ما بلغته فقد بلغك . قال الله عز وجل ـ وقدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ـ أي بلغته وقال الآخر

قَدْ خالَفَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا ... الْأُفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

فنصب الأفعوان والشجاع وكان الوجه أن يرفعهما لان ماخالفته فقد خالفك فهما فاعلان ومفعولان وقال الشماخ يذكر أباه

مِنْهُ وُلِدْتُ وَلَمْ يُوشَبْ بِهِ حَسَبِي ... لَمَا كَما عُصِبَ الْعُلْبَاءُ بِالْعُودِ

وكان الوجه أن يقول كما عصب العود بالعلباء فقلب لأنك تقول عصبت العلباء على العود كما تقول عصبت العود بالعلباء وقال ذو الرمة

وَتَكْسُو الْمُجَنَّ الرَّخْوَ خَضْراً كَأَنَّهُ ... إِهَانٌ ذَوَى عَنْ صُفْرَةٍ فَهْوَ أَخْلَقُ

وكان الوجه أن تقول وتكسو الحصر مجناً فقلب لأن كسوت يقع على الثوب وعلى الحصر وعلى القميص ولابسه تقول كسوت الثوب عبد الله وكسوت عبدالله الثوب وقال أبو النجم * قَبْلَ دُنُوِّ الأُفْقِ مِنْ جَوْزَائِهِ *

وكان الوجه أن يقول قبل دنو الجوزاء من الافق فقلب لأن كل شيء دنا منك فقد دنوت منه وقال الراعي يصف ثوراً

فَصَبَّحَتْهُ كِلاَبُ الْغَوْثِ يُوسِدُها مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالأَثَرِ

وكان الوجه أن يقول يرون الأثر كالعين لعلمهم بالصيد فآثره فقلب لأنهم إذا رأوا الأثر كالعين فقد رأوا العين كالأثر وقال النابغة

وقَدْ خِفْتُ حَتّى ما تَزِيدُ مَخَافَتِي على وَعِلٍ في ذي الْمَطَارَةِ عاقِلِ

وكان الوجه أن يقول حتى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي فقلب لان المخافتين استوتا وقال رؤبة

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ

كان الوجه أن يقول كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه فقلب لان اللونين استويا وقال الآخر وصَارَ الْجَمْرُ مِثْلَ تُرَابِها

أي صار ترابها مثل الجمر وقال الله عز وجل ـ خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ ـ أي خلق العجل من الانسان يعني العجلة كذلك قال أبو عبيدة رحمه الله ﴿ ومن المقلوب ﴾ ما قلب على الغلط كقول خداش بن زهير

وتَرْكَبُ خَيْلٌ لاَ هَوَادَةَ عِنْدها وتَعْصَى الرِّماحُ بالضِياطِرَةِ الْحُمْرِ

أراد تعصى الضياطرة بالرماح . وهذا مالا يقع فيه التأويل الاول

لان الرماح لا تعصي بالضياطرة وانما يعصي الرجال بها أي يطعنون ومنه قول الآخر

أَسْلَمَتْهُ فِي دِمشقَ كما أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةُ وَهَقَا

أراد كما أسلم وحشيةً وهق فقلب على الغلط وقال آخر

كَانَتْ فَرِيضَةَ ما تَقُولُ كما كانَ الزِنا فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

أراد كما كان الرجم فريضة الزناء . وكان بعض أهل اللغة يذهب في قول الله عز وجل ـ ومَثَلُ الذينَ كفَرُوا كمثل الذين ينعق بمالا يسمع الا دعاءً ونداء ـ الى أن هذا من المقلوب . ويقول وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام والمعنى للمنعوق به وهو الغنم . وكذلك قوله ـ ما إنَّ مفاتِحه لَتَنُوءُ بالْعُصْبَة أُولي القُوَّة ـ أي تنهض بها وهي مثقلة . وقال آخر في قوله عزوجل ـ وَإِنَّهُ لحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ ـ أي وإن حبه للخير لشديدوفي قوله ـ وَاجْعَلْنا للمُتَّقينَ إماماً ـ أي اجعل المتقين لنا إماماً:وهذا مالايجوز لاحد أن يحكم به على كتاب الله عز وجل لولم يجد له مذهباً . لان الشعراءَ تقلب اللفظ وتزيل الكلام على الغلط أو على طريق الضرورة للقافية أو لاستقامة وزن البيت : فمن ذلك قول ليبدرحمه الله * نَحْنُ بَنُو أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَهْ * قال ابن الكلبي هم خمسة فجعلهم للقافية أربعة وقال آخر يصف ابلاً

صَبَّحْنَ من كاظِمَةَ الْخُصَّ الْخَرِبْ يَحْمِلْنَ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ

أراد عبد الله بن عباس فذكر أباه مكانه وقال الصلتان

أَرَى الْخَطَفَا بَذَّ الْفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ وَلَكِنَّ خيراً مِن كُلَيبٍ مُجَاشِعُ

أراد أرى جريراً بذ الفرزدق فلم يمكنه فذكر جده وقال ذو الرمة

عَشِيَّةَ فَرّ الحارِثِيُّونَ بَعْدَ ما قَضى نَحْبَهُ في مُلْتَقى القَوْمِ هَوْبَرُ

قال ابن الكلبي هو يزيد بن هوبر فاضطر وقال أوس

فَهَلْ لَكُمُ فيها اليّ فإنَّني طَبِيبٌ بِما أعْيا النَّطاسِيَّ حِذْيَمَا

وأراد ابن حذيم وهو طبيب كان في الجاهلية وقال ابن ميادة وذكر بعيراً

كأنَّ حَيْثُ يَلْتَقي منهُ المُحَلْ مِنْ جانِبَيْهِ وعِلَيْن وَوَعِلْ

أراد وعلين من كل جانب فلم يمكنه فقال ووعل وقال أبو النجم

ظَلَّتْ وَوِرْدٌ صادِقٌ مِنْ بالها وَظَلَّ يُوفِي الآكُمَ ابْنُ خالِها

أراد فلها فجعله ابن خالها وقال آخر * مِثْلُ النَّصارَى قَتَلُوا المَسيحا * وقال آخر * وَمِحْوَرٍ أُخْلِصَ مِنْ ماءِ اليَلَبْ * واليلب سيور تجعل تحت البيض فتوهمه حديداً وقال رؤبة

* أوْ فِضَّةٌ أوْ ذَهَبٌ كِبْرِيتُ * وقال أبو النجم

* كَلَمْعَةِ البَرْقِ بِبَرْقٍ خُلَّبُهْ * أراد بخلب برقه فقلب : وقال الآخر

إنَّ الكَرِيمَ وَأبِيكَ يَعْتَمِلْ إنْ لَمْ يَجِدْ يَوْماً على مَنْ يَتَّكِلْ

أراد ان لم يجد يوماً من يتكل عليه في أشباه لهذا كثيرة : ﴿ قال أبو محمد ﴾ والله جل وعز لا يضطر ولا يغلط . وانما أراد وَمَثَلُ الذينَ كفروا ومثلها في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع فاقتصر على قوله وَمَثَلُ الذينَ كفروا وحذف مثلنا لأن الكلام يدل عليه ومثل هذا كثير في الاختصار : ﴿ وقال الفراء ﴾ أراد ومثلَ وَاعِظِ الذينَ كفروا فحذف

كما قال ـ وَسلِ القريةَ ـ أي أهلها وأراد بقوله ـ ما إنَّ مفاتحهُ لتَنُوء بالعُصْبةِ ـ أي تميلها من ثقلها قال الفراء أنشدني بعض العرب

حتّى إذَا ما التأمَتْ مَفاصِلُهْ وَناءَ في شِقّ الشِمالِ كاهِلُهْ

يريد أنه لما أخذ القوس ونزع مال عليها ﴿ قال ﴾ ونرى قولهم ما ساءك وناءك من هذا وكأن الاصل أناءك فألقى الالف لما أتبعه ساءك كما قالوا هنأني ومرأني فأتبع مرأني هنأني ولو أفرد لقال أمرأني: وأراد بقوله وَإنّهُ لِحُبّ الخيرِ لشديدٌ أي انه لحب المال بخيل والشدة البخل ها هنا يقال رجل شديد ومشدد: ﴿ وقوله ﴾ واجعلنا للمتقينَ إماماً يريد اجعلنا أئمة في الخير يقتدي بنا المؤمنون كما قال في موضع آخر ـ وَجعلناهُمْ أَئمّةً يهدُونَ بأمرِنا لمّا صَبَرُوا ـ أي قادة وكذلك قال المفسرون. وروي عن بعض أحبار السلف رضى الله عنهم أنه كان يدعو الله عز وجل أن يحمل عنه الحديث فحمل عنه: ﴿ وقال ﴾ بعض المفسرين في قوله تعالى وَاجعلْنا لِلْمُتقينَ إماماً يريد اجعلنا نقتدي بمن قبلنا حتى يقتدي بنا من بعدنا فهم على هذا التأويل متبعون ومتبعون وسترى باقي الباب في التقديم والتأخير ان شاء الله وهو المستعان: ﴿ رجع القول الى ذكر الغريب ﴾ قوله عز وجل ( وَما يُضلُّ به إلاَّ الفاسِقينَ ) قال أبو محمد رحمه الله الفسق في اللغة الخروج عن الشيء ومنه قول الله عز وجل ـ إلاَّ ابليسَ كانَ منَ الجنّ ففسقَ عن أمرِ ربهِ ـ أي خرج عن طاعته. قال الفراء ومنه يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها ( الذينَ ينقُضُونَ عهدَ اللهِ مِنْ

بعد ميثاقه ) يريد أن الله سبحانه أمرهم بأمور فقبلوها منه وبذلك أخذ الميثاق عليهم والعهد اليهم ونقضهم ذلك نبذهم اياه بعد القبول وتركهم العمل به ( أولئك هُمُ الخاسرونَ ) والخسران النقصان وكذلك الخسر ويكون بمعنى الهلكة كما قال ـ وما زادوهمْ غيرَ تخسيرٍ ـ أي هلكة وقال في موضع آخر غير تتبيب أي هلكة وَأولئكَ هُمُ الخاسِرونَ أي الهالكون ( كَيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وَكُنْتُمْ أمواتاً ) أي نطفاً في الارحام وكل ما فارق الجسد من شعر أو ظفر أو نطفة فهو ميتة ( فأحياكُمْ )في الأَرْحامِ وفي الدنيا ثمّ (يُميتُكُمْ ثمّ يُحْيِيكُمْ ) في البَعْثِ ومثله حكاية عنهم ـ قالوا ربنا أمتنا اثنتينِ وَأحييتنا اثنتينِ ـ فالميتة الاولى اخراج الله النطفة وهي حيةمن الرجل فاذا صارت في الرحم فهي ميتة فتلك الاماتة الاولى ثم يحييها في الرحم وفي الدنيا ثم يميتها ثم يحييها يوم القيامة ( ثمّ استوى الى السماءِ) أي عمد لها وكل من كان يعمل عملا فتركه بفراغ أو بغير فراغ وعمد لغيره فقد استوى له واستوى اليه . وقوله عز وجل ( فسواهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ) ذهب الى السموات السبع ( إِنّي جاعِلٌ في الارْضِ خليفةً قالوا أتجعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ) ﴿ قال أبو محمد ﴾ يرى أهل النظر من أصحاب اللغة ان الله جل وعز قال اني جاعِلٌ في الأرْضِ خليفةً يفعل ولده كذا ويفعلون كذا فقالت الملائكة أتجعل فيها من يفعل هذه الافاعيل ولولا ذلك ما علمت الملائكة في وقت الخطاب أن خليفة الله يفعل ذلك فاختصر الله سبحانه وتعالى ذلك الكلام على ما ستراه في بابه ان شاء الله ( وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلَّها ) يريد

أسماء ما خلق الله في الارض (ثُمَّ عَرَضَهُمْ على الملائكة) أي عرض أعيان الخلق عليهم (فقالَ أَنبِئُوني بأسماءِ هؤلاءِ ان كُنْتُمْ صادِقينَ) والملائكة من الأَلوك وهي الرسالة وهي المالكة. ومنه قالت الشعراء ألكني أي أرسلني وبمعنى كن رسولي واحدهم ملك بترك الهمزة لكثرة ما يجري في الكلام والهمزة في الجميع مؤخرة لأنهم رسل الله عز وجل. وابليس فيه قولان قال أبو عبيدة هو اسم أعجمي ولذلك لا ينصرف. وقال غيره هو إفعيل من أبلس الرجل اذا يئس. قال الله عز وجل ـ فاذاهُمْ مُبلِسونَ ـ أي يائسون كذلك قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قالَ وَلَمَّا لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عليهِ أَبْلَسَ منْ رَحْمَتِهِ أي يئس منها فسماه الله عز وجل ابليس. وكان اسمه عزازيل قال ولم يصرف لانه لاسمي له فاستثقل (وَكُلاَ مِنْها رَغَداً) أي رزقاً واسعاً كثيراً يقال أرغد فلان اذا صار في خصب وسعة (قُلْنا اهبِطُوا منها جَميعاً) قال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه هو كما يقال هبط فلان أرض كذا (فأَزَلَّهُما الشيطانُ) مِنَ الزلَلِ يعني استزلهما يقال زل فلان وأزللته ومن قرأ فأزالهما أراد نحاهما من قولك أزلتك من موضع وأزلتك عن رأيك الى غيره (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) يعني الانسان وابليس ويقال والحية (وَلَكُمْ في الأَرْضِ مُستَقَرٌّ) موضع استقرار (ومتاعٌ) أي متعة ومدة. ومنه يقال متع النهار أي امتد وأمتعَ اللهُ بكَ أي امد عمرك. ﴿ش﴾ والمتاع الآلات التي ينتفع بها. قال الله عز وجل ـ ومما يوقِدُونَ عليه في النار ابتغاءَ حلية أو متاع زبدٌ مثله ـ

والمتاع المنفعة كما قال ـ تذكرة ومتاعاً للمقوين ـ وقال ـ متاعاً لكم ولأنعامكم ـ وقال ـ وطعامه متاعاً لكم ـ وقال غير مسكونة فيها متاع لكم أي تنفعكم وتقيكم من الحر والبرد يعني الحانات ومنه متعة الطلاق ﴿غ﴾ (الى حين) يريد الى أجل (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي قبلها وأخذها كان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه ان يستغفره أو يستقبله بكلام من عنده ففعل ذلك آدم صلى الله عليه وسلم فتاب عليه . وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلقى الوحي من جبريل عليه السلام أي يتقبله ويأخذه (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) أي أوفوا بما قبلتموه من أمري ونهي أوف بعهدكم اوف لكم بما وعدتكم على ذلك من الجزاء (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أي وتتركون أنفسكم كما قال ـ نسوا الله فنسيهم ـ اي تركوا الله فتركهم (واستعينوا بالصبر) اي بالصوم في قول مجاهد رحمه الله . ويقال لشهر رمضان شهر الصبر والصائم ايضاً صابر أي الصائم صابراً لانه حبس نفسه عن الأكل والشرب وكل من حبس شيئاً فقد صبره ومنه المصبورة التي نهي عنها وهي البهيمة تجعل غرضاً وترمي حتى تقتل وانما قيل للصابر على المصيبة صابر لانه حبس نفسه عن الجزع (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) اي يعلمون . والظن بمعنيين شك ويقين على ما تقدم في باب القلوب (وأني فضلتكم على العالمين) اي على عالمي زمانهم وهو من العام الذي أريد به الخاص (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً) اي لا تقضي عنها ولا تغني يقال

جزى عني فلان بغير همز اي ناب عني واجزأني كذا بالالف في اوله والهمز اي كفاني ( ولا يوخذ منها عدلٌ ) اي فدية . قال ـ وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها ـ اي ان تفتد بكل شيء لا يؤخذ منها وانما قيل للفداء عدل لانه مثل للشيء يقال هذا عدل هذا وعديله . فأما العدل بكسر العين فهو ما على الظهر ( يسومونكم سوء العذاب ) قال ابو عبيدة يولونكم أشد العذاب . يقال فلان يسومك خسفاً اي يوليك إذلالاً واستخفافا ( وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ ) اي في إنجاء الله اياكم من آل فرعون نعمة عظيمة . والبلاء يتصرف على وجوه ﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل البلاء الاختبار قال الله عز وجل ـ وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاحَ ـ اي اختبروهم . وقال ـ إنَّ هذا لهُوَ البلاء المبينُ ـ يعني ما أمر به ابراهيم عليه السلام من ذبح ابنه صلوات الله عليهما وقال ـ بلوناهُمْ بالحسنات والسيئات ـ اي اختبرناهم ثم يقال للخير بلاء وللشر بلاء لان الاختبار الذي هو بلاء وابتلاء يكون بهما قال الله عز وجل ـ ونبلوكُمْ بالشرّ والخير فتنةً ـ أي نختبركم بالشر لنعلم كيف صبركم وبالخير لنعلم كيف شكركم فتنة اختباراً ومنه يقال ـ اللهم لا تبلنا إلاَّ بالتي هي أحسنُ ـ اي لا تختبرنا الا بالخير ولا تختبرنا بالشر ويقال من الاختبار بلوته أبلوه بلواً والاسم بلاية

* ومنَ الخير البليتهُ إبلاءً * ومنه يقال يبلي يبلو وقال زهيرٌ

رعى الله بالاحسان ما فعلا بكم * فأبلاهما خيرَ البلاء الذي يبلو

اي خير البلاء الذي يختبر به عباده ومن الشر بلاه الله يبلوه بلاء . قال الله

عز وجل ـ وفي ذَلِكُمْ بلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عظيمٌ ـ اي نعمة عظيمة (وآتيناهُمْ مِنَ الآياتِ ما فيه بلاءٌ مبينٌ) اي نعم بينة . ﴿ غ ﴾ وآل فرعون أَهل بيته وأَتباعه واشياعه . قال الله عز وجل ـ أَدْخِلوا آلَ فرعونَ أَشدَّ العذابِ ـ فتوبوا الى بارئكم أَي الى خالقكم والباريء الخالق يقال برأَ الله الخلق يبرؤُهم والبرية الخلق وأَكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الأَلسنة وهي فعيلة بمعنى مفعولة ومن الناس من يزعم انها مأخوذة من بريت العود ومنهم من يزعم انها من البراء وهو التراب اي خلق من التراب وقالوا لذلك لم يهمز . ومثل الباريء الذارئُ وهو الخالق ويقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم . وقال عز وجل ـ وَلَقَدْ ذَرَأْنا لجَهَنَّمَ ـ أي خلقنا والذرية منها كأنها خلق الله من الرجل . وأكثر القراء والعرب على ترك همزها لكثرة ما يتكلم بها ومنهم من يزعم انها من ذروت أو ذريت (فاقتلوا أَنفُسَكُمْ) أي ليقتل بعضكم بعضاً وهو من الاستعارة . ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد العرب تقول أخي وأخوك أينا أبطش يريدون أنا وأنت نصطرع فننظر أينا أشد فيكني عن نفسه بأخيه لان أخاه كنفسه قال العبدي

أَخي وَأَخُوكَ بِبَطْنِ النُسَيْرِ ... لَيْسَ لَنَا مِنْ مَعَدٍّ عَرِيب

ويكني عن أخيه بنفسه . قال الله عز وجل ـ ولا تلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ـ أي لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كأنفسهم . وقال ـ ولولا إِذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المؤمِنونَ والمؤمِناتُ بأَنفُسِهِمْ خيراً ـ أي بأمثالهم من المسلمين وبعض المفسرين يقول في قوله عز وجل ـ إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا ـ أي

على أهليكم جعلهم أنفسهم على التشبيه . وقال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير ذلك البيوت المساجد اذا دخلتها سلمت على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وقال ـ استجيبوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دعاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ـ أي الى الجهاد الذي يحي دينكم ويعليكم وقال ـ ولا تقتلوا أَنْفُسَكُمْ ـ أي لا تقتلوا اخوانكم (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) أي أموال اخوانكم وان جعلته بمعنى لا يأكل بعضكم مال بعض ولا يقتل بعضكم بعضاً فهو أيضاً قريب المعنى من الاول وقال ـ ولَقَدْ خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا لِلْملائكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ ـ أي خلقنا آدم ثم صورناه فجعل الخلق لهم اذ كانوا منه ﴿غ﴾ قوله ـ فتابَ عليكُمْ ـ أي فعلم فتاب عليكم مختصر (نرى اللهَ جهرةً) أي علانية ظاهراً لا في نوم ولا غيره (فأخذتكم الصاعِقَةُ) أي الموت يدل على ذلك قوله تعالى ـ ثم بعثناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ . ﴿ش﴾ (قال أبو محمد) الصاعقة والصعق الموت قال الله سبحانه وتعالى ـ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمَوَاتِ ومَنْ في الأرْضِ ـ أي ماتوا وقال ـ وَخَرَّ موسى صَعِقاً ـ أي ميتاً ثم رد الله عز وجل عليه حياته قال والصاعقة العذاب كقوله تعالى ـ أنذرتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وثَمُودَ ـ والصاعقة نار من السحاب قال ـ ويُرْسِلُ الصواعِقَ فَيُصيبُ بها مَنْ يشاء ـ وأراها سميت صاعقة لانها اذا أصابت قتلت يقال صعقتهم أي قتلتهم ﴿ش﴾ والاخذ أصله باليد ثم يستعار في مواضع فيكون بمعنى القبول كما قال ـ وَأخذتم على ذَلِكُمْ إِصْرِي ـ أي قبلتم عهدي وقال ـ إِنْ أُوتيتُمْ هذا

فَخُذوهُ ـ اي فاقبلوه وقال ـ وَيأخُذُ الصَّدَقاتِ ـ اي يقبلها وقال ـ لا يؤخذُ مِنها عَدْلٌ ـ اي لا يقبل وقال خذ العفو اي اقبله .ويكون الاخذ بمعنى الحبس والاسر قال ـ نخذ أحَدنا مكانَهُ ـ اي احبس وقال ـ فاقتلوا المشركينَ حَيثُ وجدتموهُمْ وخذُوهُمْ ـ اي ءاسروهم واحصروهم اي احبسوهم ويقال للاسير أخيذ . والأخذ التعذيب قال الله سبحانه وتعالى ـ وكذلك اخذ ربّكَ اذا اخذَ القُرَى ـ اي تعذيبه وقال ـ فكُلًّا اخَذْنا بذَنبه ـ اي عذبنا وقال ـ وهمّتْ كل أُمةٍ برَسولِهمْ لِيأخُذُوهُ ـ اي ليعذبوه او ليقتلوه ﴿ غ ﴾ الغمام السحاب سمي بذلك لانه يغم السماء اي يسترها وكل شيء غطيته فقد غممته ويقال جاءنا باناء مغموم اي مغطى الرأس وقيل له سحاب بمسيره لانه كأنه ينسحب اذا سار ﴿ المن ﴾ هو الترنجبين والسلوى طائر يشبه السُمّانا لا واحد له (وما ظلمونا) اي نقصونا (ولكن كانوا أنفُسَهُمْ يظلِمونَ) اي ينقصون ﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل الظلم في كلام العرب وضع الشيء في غير موضعه ومنه يقال من اشبه اباه فما ظلم اي فما وضع الشيء في غير موضعه وظلم السقاء هو ان يشرب قبل ادراكه. وظلم الجزور ان يعتبط اي ينحر من غير علة وارض مظلومة اى حفرت وليست موضع حفر . ويقال الزم الطريق ولا تظلمه اي لا تعدل عنه ثم قد يصير الظلم بمعنى الشرك لان من جعل لله شريكاً فقد وضع الربوبية في غير موضعها يقول الله سبحانه وتعالى ـ إنَّ الشركَ لَظُلْمٌ عظيمٌ ـ وقال عز من قائل ـ ولَمْ يلبسوا ايمانَهُمْ بِظُلْم ـ اي بشرك . ويكون الظلم الجحد قال

ـ وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَةً فظلموا بها ـ اى جحدوا بأنها من الله عز وجل وقال ـ بما كانوا يَظْلِمونَ ـ اي يجحدون. ﴿ غ ﴾ (وقولوا حطة) رفع على الحكاية وهي كلمة أُمروا ان يقولوها في معنى الاستغفار من حططت اي حط عنا ذنوبنا (فَبَدَّلَ الذينَ ظَلَموا قَوْلاً غَيرَ الَّذى قيلَ لَهُمْ) اى قيل لهم قولوا حطة فقالوا حطاً سمقاتاً يعني حنطة حمراء (رجزاً من السماء) ﴿ ش ﴾ الرجز العذاب كما قال عز وجل ـ لَئِنْ كَشَفْتَ عنا الرِّجْزَ ـ أي العذاب ـ والرجز فاهجر ـ يعني الأوثان سماها رجزاً لانها تؤدي الى العذاب والرجس بالسين النتن ثم قد يسمى الكفر والنفاق رجساً لانه نتن قال الله عز وجل ـ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً الى رِجْسِهِمْ ـ أي كفراً الى كفرهم أو نفاقاً الى نفاقهم قال (ويَجْعَلُ الرِّجْسَ على الَّذِينَ لا يَعْقِلونَ) ﴿ غ ﴾ (ولا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدينَ) عثى يعثى ويقال أيضاً عثا وفيه لغة أخرى عاث يعيث وهو أشد الفساد وكان بعض الرواة ينشد بيت ابن الرقاع

لولا الحياء وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ عَثَا ... فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتَ أُمَّ الْقَاسِمِ

وينكر على من يرويه عسا. وقال كيف يعسو الشيب وهو الى أن يرق في كبر الرجل ويلين أقرب منه الى أن يغلظ ويعسو ويصلب واحتج بقول الآخر * وَأَنْبَتَتْ هامَتُهُ الْمِرْعِزَّى * يريد أنه لما أن شاخ رق شعره ولان فكأنه مرعزى والمرعزى نبت أبيض (وَباؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ) أي رجعوا يقال بؤت بكذا فأنا أبوء به ولا يقال باء إلا بشيء. والفوم فيه أقاويل يقال هو الحنطة والخبز جميعاً. وقال الفراء هي لغة قديمة يقول أهلها

فوموا أي اختبزوا . ويقال الفوم الحبوب ويقال هو الثوم والعرب قد تبدل الثاء بالفاء فيقولون جدث وجدف والمغاثير والمغافير ﴿ قال أبو محمد ﴾ وهو أعجب الاقاويل اليّ لانها في مصحف عبد الله رضي الله عنه وثومها ( وَالَّذِينَ هادُوا ) همُ اليهودُ ( وَالصَّابِئِينَ ) قال قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤن الزبور وأصل الحرف من صبأت اذا خرجت من شيء الى شيء ومن دين الى دين ولذلك كانت تقول قريش في الرجل يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم قد صبأ فلان بالهمز أي خرج عن ديننا الى دينه والطور الجبل ورفعه مبين في سورة الاعراف ( اعتدوا منكم في السبت ) أي ظلموا وتعدوا ما أمروا به من ترك الصيد في يوم السبت ( فقُلْنا لَهُمْ قِرَدَةً خاسِئِينَ ) أي مبعدين يقال خسأت فلاناً عني وخسأت الكلب أي باعدته ومنه يقال للكلب اخسأ أي تباعد ( فجعلناها نكالاً ) أي فجعلنا قرية أصحاب السبت نكالاً أي عبرة (لما بين يديها ) من القرى (وما خلفها) ليتعظوا بهم ويقال لما بين يديها من ذنوبهم وما خلفها من صيدهم الحيتان يوم السبت وهو قول قتادة والاول أعجب اليّ ( لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ ) أي لا مسنة يقال فرضت البقرة فهي فارض اذا أسنت قال الشاعر

يارُبَّ ذِي ضِغْنٍ وضَبٍّ قارِضِ لَهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

أي ضغن قديم ولا بكر أي ولا صغيرة لم تلد ولكنها عوان بين ذينك ومنه يقال في المثل العوان لا تعلم الخمرة يراد أنها ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر ( صَفْرَاءُ فاقِعٌ لَوْنُها ) أي ناصع صاف . وقد ذهب قوم

الى أن الصفراء السوداء وهذا غلط في نعوت البقر وانما يكون ذلك في نعوت الابل يقال بعير أصفر أي أسود وذلك أن السود من الابل يشوب سوادها صفرة قال الاعشي

تِلْكَ خَيْلِي مِنْه وَتِلْكَ رِكابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلاَدُها كالزَّبيب

أي سود ومما يدلك على أنه أراد الصفرة بعينها قوله تعالى ـ فاقِعٌ لَوْنُها ـ والعرب لا تقول أسود فاقع في ما أعلم انما يقال أسود حالك واحمر قانيء وأصفر فاقع (لا ذلول) يقال في الدواب دابة ذلول بينة الذل بكسر الذال وفي الناس رجل ذليل بين الذل بضم الذال (تثير الارض) أي تقلبها للزراعة ويقال للبقرة المثيرة (ولا تسقي الحرث) أي لا يسنى عليها فيستقى بها الماء لسقي الزرع (مسلمة) من العمل (لا شية فيها) أي لا لون فيها يخالف معظم لونها كالفرحة والرثمة والتحجيل وأشباه ذلك . والشية مأخوذة من وشيت الثوب فأنا أشيه وشياً وهي من المنقوص أصلها وشية مثل زنة وعدة (فقلنا اضربوهُ ببعضِها) أي اضربوا القتيل ببعض البقرة قال بعض المفسرين فضربوه بالذنب وقال بعضهم بالفخذ فحيي (ادارأتم فيها) أي اختلفتم والاصل تدارأتم فأدغمت التاء في الدال وأدخلت الالف ليسلم السكون للدال الاولى يقال كان بينهم تدارؤٌ في كذا أي اخلاف ومنه قول القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شريكي فكان خير شريك لا يماري ولا يداري اي لا يخالف (ثم قست قلوبكم) اي اشتدت وصلبت (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمونَ الكِتابَ إِلاَّ أَمانِيَّ) اي لا يعلمون الكتاب إلا ان يحدثهم كبراءهم بشيء فيقبلوه

ويظنوا انه الحق وهو كذب ومنه قول عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت أي ما اختلقت الباطل . وتكون الاماني التلاوة قال الله عز وجل ـ وما ارسلنا من قبلكَ مِنْ رسولٍ ـ ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يريد اذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته يقول فهم لا يعلمون الكتاب الا تلاوة ولا يعملون به وليسوا كمن يتلوه حق تلاوته فيحل حلاله ويحرم حرامه ولا يحرفه عن مواضعه ( فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكتُبونَ الكِتابَ بِأَيدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ ) أي يزيدون في كتب الله سبحانه وتعالى ما ليس منها لينالوا بذلك عرضاً حقيراً من الدنيا ( وقالوا لَنْ تَمسنا النارُ إلاَّ أياماً مَعْدُودَةً ) قالوا انما نعذب أربعين يوماً قدر ما عبد أصحابنا العجل ( قُلْ أَتَّخَذتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً ) أي اتخذتم بذلك وعداً من الله ( وإِذْ أَخَذنا مِيثَاقَ بَني اسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ ) أي أمرناهم بذلك فقبلوه وهو أخذ الميثاق عليهم ( وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَاناً ) أي وصيناهم بالوالدين احساناً مختصر كما قال ـ وقضى ربُّكَ الاَّ تعبُدوا إلاّ إيّاهُ وَبالْوَالِدَينِ احْسَاناً ـ أي ووصى بهما ( وَإِذْ أَخَذْنا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ ) أي لا يسفك بعضكم دم بعض ولاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ) أي لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ويغلبه عليها . ثم أقررتم أي ثم قبلتم ذلك وأقررتم به وأنتم تشهدون على ذلك ( ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ ) أي ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون أنفسكم . ﴿ ش ﴾ أي لا يقتل بعضكم بعضاً ( وتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِنكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيهِمْ بِالاِثمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأتُوكُمْ

أُسارَى تُفادُوهُمْ وهُو محرمٌ عليكمْ إِخراجُهُمْ مِنْ دِيارِهِمْ أَفتُؤمِنونَ ببعضِ الْكِتابِ ) في فك الاسير ( وتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ): في إِخْرَاجِكُم مَنْ أَخرَجْتُمْ من دِيارِهِمْ : ( فماجزاءمن يَفعَلُ ذلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ في الحياةِ الدنيا ) فجوزي بنو النضير بأن أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ( مِنْ دِيارِهِمْ لِأَولِ الحشر ) وجوزي بنو قريظة بقتل المقاتلة وسبي الذرية لان الآية فيهم نزلت ﴿ ش ﴾ والتظاهر التعاون ومنه قوله ـ إِن تَتُوبا إِلى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظاهَرَا عليه ـ أي تعاونا عليه ـ واللهُ ظَهِيرٌ ـ أي عون . وأصل التظاهر من الظهر فكأن التظاهر أن يجعل كل واحد من الرجلين أو من القوم الآخر له ظهراً يتقوي به ويستند اليه . ﴿ غ ﴾ ( وَقَفَّينا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُلِ ) أي أتبعناه بهم وأردفناه اياهم وهو من القفا مأخوذ ومنه يقال قفوت الرجل اذا سرت في إِثره . ( قلوبنا غلف ) جمع أغلف أى كأنها في غلاف لا تفهم عنك ولا تعقل شيئاً مما تقول وهو مثل قوله ـ قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ـ يقال غلفت السيف اذا جعلته في غلاف فهو سيف أغلف ومنه قيل لمن لم يختتن أغلف ومن قرأه غلف مثقلا أراد جمع غلاف أي هي أوعية للعلم ( وكانوا مِنْ قبلُ يَسْتَفْتِحونَ على الَّذِينَ كَفَرُوا ) يقول كانت اليهود اذا قاتلت أهل الشرك استفتحوا عليهم أي استنصروا عليهم الله فقالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث الينا فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرفوه كفروا به والاستفتاح الاستنصار ومنه عسى الله أن يأتي بالفتح أي بالنصر . ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد

أصل الفتح أن يفتح المغلق كقوله ـ حتى إذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابُها ـ والفتح النصر كما تقدم في الغريب لان النصر يفتح الله به أمراً كان مغلقاً . والفتح القضاء لأن القضاء فصل الأمور وفتح لما أشكل منها قال ـ ويقولون متى هذا الفَتْحُ إن كُنتُمْ صادِقِينَ : قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا تَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا ايمانُهُمْ ـ يعني يوم القيامة لأنه يوم يقضي الله فيه بين عباده ويقال أراد فتح مكة ـ لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ـ من خوف السيف فلم ينفعهم ذلك وقتلهم خالد بن الوليد رحمه الله وقال ـ ثمّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بالحقّ ـ أي يقضي ـ وَهُوَ خَيْرُ الفاتِحِينَ ـ أي القضاة . وقال اعرابيّ لآخر نازعه بيني وبينك الفتاح يعني الحاكم وقال ابن عباس في قول الله سبحانه وتعالى ـ إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ـ كنت أقرؤها ولا أدري ما هي حتى تزوجت بنت مشرح فقالت فتح الله بيني وبينك أي حكم الله بيني وبينك . ﴿غ﴾ ( فَلَعْنَةُ اللهِ على الْكافِرِينَ ) أصل اللعن في اللغة الطرد ولعن الله إبليس طرده حِينَ قالَ لَهُ ـ اخْرُجْ مِنها مَذْؤُماً مَدْحوراً ـ ثم انتقل فصار قولا قال الشماخ وذكر ماءً

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مقامَ الذِّئبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

أي مقام الذئب اللعين أي الطريد كالرجل فكأن القائل لعنه الله أي طرده الله عنه باعده الله منه أسحقه الله هذا أو نحوه . ﴿غ﴾ ( وَأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ) أي حب العجل بكفرهم على الحذف والاختصار كما قال ـ وَسْلِ الْقَرْيَةَ ـ أراد أهل القرية ونذكر باب الحذف والاختصار

﴿ ش ﴾ قال أبو محمد الحذف والاختصار أن يحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه ويجعل الفعل له كما قال وسل القرية . ـ والْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ـ أي وقت الحج وكما قال ـ إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحياةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ـ أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وقوله ـ لهدّمت صوامع وبيع وصلواتٌ ومساجدُ ـ والصلوات لا تهدم وانما أراد بيوت صلوات . وقال المفسرون الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات كنائس اليهود والمساجد للمسلين . وقوله ـ مِنْ قَرْيَتِكَ التي أَخْرَجَتْكَ أهلكناهُمْ ـ أي أخرجك أهلها وقوله ـ بلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ـ أي مكركم في الليل والنهار وقوله ـ أجعلتُمْ سِقايةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ المَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ ـ أي جعلتم صاحب سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله . ويكون أن يريدا جعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده كما قال ـ وَلَكِنَّ البِرَّ منْ آمنَ باللهِ ـ قال الهذليُّ

يُمَشِّي بَيْنَنا حانوتُ خَمْرٍ ... مِنَ الْخُرْسِ الصَّرائِرَةِ القِطاطِ

أراد صاحب حانوت خمر فأقام الحانوت مقامه وكذلك قول أبي ذؤيب

تَوَصَّلَ بالرُّكْبانِ حِيناً وَتُؤْلِفُ ... الجِوارَ وَيُغْشِيها الأَمانَ رِبابُها

اللفظ للخمر والمعنى للخمار أي يتوصل الخمار بالركب يسير معهم ويأمن بهم وكذلك قوله

أَتَوْها بِرِبْحٍ حاوَلَتْهُ فأَصْبَحَتْ ... تُكَفَّتُ قَدْ حَلَّتْ وَساغَ شَرابُها

يريد أتوا صاحبها بربح فأقامها مقامه وقال كثير يذكر الأظعان

جُزِيَتْ لي بِحَزْمٍ فَيْدَةَ تُحْدَى كالْيَهُودِي مِنْ نَطَاةَ الرِّقال

جزيت سيقت ومثله حذيت أراد كنخل اليهودي من خيبر فأقامه مقامها ومثله ـ فليدع ناديه ـ أي أهله وقال الشاعر

لهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أحْرَارُها وَعَبِيدُها

ومن ذلك ﴿ أن توقع الفعل للاثنين ﴾ وهو لأحدهما وتضمر للآخر فعله كقوله عز وجل ـ يَطُوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدُونَ بأكْوَابٍ وأباريقَ وكأسٍ مِنْ مَعِينٍ ـ ثم قال ـ وفاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وحُورٍ عِينٍ ـ والفاكهة واللحم والحور لا يطاف بها انما أراد ويؤتَوْنَ بلَحْمِ طَيْرٍ ومثله قوله ـ فأجمعوا أمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ ـ أى وادعوا شركاءكم وكذلك هو في مصحف عبد الله رحمه الله وقال الشاعر

تَرَاهُ كأنَّ اللهَ يَجْدَعُ أنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إنْ مَوْلاهُ ثابَ لَهُ وَفْرُ

أي يجدع أنفه ويفقأ عينيه وأنشد الفراء

عَلَفْتُها تِبْناً وَماءً بارِدا حتى شَتَتْ هَمَّالَةً عَيْناها

أي علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً وقال الآخر

إذا ما الغانِياتُ بَرَزْنَ يَوْماً وَزَجَّجْنَ الحَواجِبَ وَالعُيُونا

والعيون لا تزجج إنما أراد وزججن الحواجب وكحلن العيونا وقال الآخر

وَرَأيْتُ زَوْجَكِ في الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحا

أي متقلداً سيفاً وحاملا رمحاً ﴿ ومن ذلك ﴾ أن يأتي الكلام مبنياً على أن له جواباً فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به كقوله عزوجل ـ وَلَوْ أنَّ

قُرْآناً سُيِّرَتْ به الْجبالُ أوْ قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الْمَوْتى بَلْ لِلّهِ الأَمْرُ جَميعاً ـ أراد لكان هذا القرآن ـ فحذف . وكذلك قوله جل ثناؤه ـ ولوْلا فَضْلُ اللهِ عليكُمْ ورحمتُهُ وأنَّ اللهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ ـ أراد لعذبكم فحذف : وقال الشاعر وهو أمرؤ القيس

فأُقْسِمُ لَوْ شيءٌ أتانا رَسولُهُ سِوَاكَ ولَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعا

أي لرددناه . وقال تعالى جَدُّهُ ـ لَيْسُوا سواءً مِنْ أهلِ الكِتابِ أُمَّةٌ قائمةٌ يتلونَ آياتِ اللهِ آناءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ـ فذكر أمة واحدة ولم يذكر بعدها أخرى وسواء تأتي للمعادلة بين اثنين فما زاد . وقال ـ أمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً ـ ولم يذكر ضدها لأن في قوله تبارك اسمه ـ قلْ هلْ يستوِي الَّذِينَ يَعلمونَ والذين لا يَعلمونَ ـ دليلاً على ما أراد وقال الشاعر

أرَاكَ فما أدْرِي أهَمٌّ هَمَمْتَهُ وذُو الْهَمِّ قِدْماً خاشِعٌ مُتَضائِلُ

ولم يأت بالأمر الآخر : وقال أبو ذؤيب

عَصَيْتُ إليْها القَلْبَ إنِي لأَمْرِهِ سَمِيعٌ فما أدْرِي أرُشْدٌ طِلابُها

أراد أرشد هو أم غي فحذف . ﴿ ومن ذلك حذف الكلمة ﴾ والكلمتين كقوله جل ثناؤه ـ فأما الذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُمْ بعدَ إيمانِكُمْ ـ والمعنى فيقال لهم أكفرتم ـ ولو ترى إذِ الْمُجْرِمونَ ناكِسو رُؤُسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ربّنا أبْصَرْنا وَسمِعنا ـ والمعنى يقولون ربنا ـ وإذْ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البيتِ وإسمعيلُ رَبّنا تقبلْ مِنا ـ والمعنى يقولان ربنا تقبل

منا : وقال ذو الرمة يصف حميراً

فلما لَبِسْنَ اللَّيلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ لَهُ مِنْ حَـذَاءٍ أذَانِها وَهْوَ جانِحُ

أراد أو حين أقبل والحذاء الاسترخاء : وقال

وقَدْ بَدَا لِذِي نُهْيَةٍ ألاَّ إلى أمِّ سالِمِ

أراد ألا سبيل الى أم سالم . وقال الله سبحانه وتعالى ـ وقضى رَبُّكَ ألاَّ تَعبُدُوا إلاَّ إياهُ وبالوالدينِ احساناً ـ أي ووصي بالوالدين احساناً : وقال النمر بن تولب

فإنَّ المنيّـةَ مَنْ يَخْشَها فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أيْنَمَا

أراد أينما ذهب : وقال جل وعز ـ كَرَمادٍ اشتَدَّتْ بِهِ الرِّياحُ في يوْمٍ عاصِفٍ ـ أراد في يوم عاصف الريح فحذف لأن ذكر الريح تقدم فكان فيه دليل : وقال ـ وما أنتمْ بِمُعجِزِينَ في الارضِ ولا في السماءِ ـ أراد ولا من في السماء بمعجز وقال ـ وَأدْخِلْ يَدَكَ في جيبِكَ تَخرُجْ بيضاءَ مِن غيرِ سوءٍ في تِسعِ آياتٍ الى فِرعونَ ـ أراد في تسع الى هذه الآية أي معها ثم قال الى فرعون ولم يقل مرسل ولا مبعوث لأن ذلك معروف ومثله ـ وإلى ثمودَ أخاهُمْ صَالِحـاً ـ أي أرسلنا : قال الشاعر

رأتني بِحَبْلَيها فَصَدَّتْ مخافَـةً وفي الحبلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ

أراد رأتني مقبلا بحبليها : وقال عز وجـل ـ لِيَسوؤا وُجُوهَكُمْ ـ أراد بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فحذفها لأنه قال قبل ـ فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم ـ فاكتفى بالأول من الثاني اذ كان يدل عليه وكذلك قوله ـ عنِ اليمينِ وعنِ

الشمال قعيدٌ ـ اكتفى بذكر الثاني من الأول

﴿ قال أبو محمد وقد يشكل الكلام ويغمض ﴾ بالاختصار والاضمار كقوله ـ أفمَنْ زيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فانَّ اللهَ يُضِلُّ من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهَب نفسك عليهم حسرات ـ . والمعنى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك حسرة عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وكقوله ـ إني لا يَخافُ لَدَيّ المرْسلونَ إلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثم بدل حسناً بعد سوء فاني غفور رحيم ـ لم يقع الاستثناء من المرسلين وانما وقع من معنى مضمر في الكلام كأنه قال لا يخاف لدي المرسلون بل غيرهم الخائف إلا من ظلم ثم تاب فانه لا يخاف . هذا قول الفراء وهو بعد لأن العرب انما تحذف ما يدل عليه ما يظهر وليس في ظاهر هذا الكلام على هذا التأويل دليل على باطنه ﴿ قال أبو محمد ﴾ والذي عندي فيه والله أعلم أن موسى عليه السلام لما خاف الثعبان وولى ولم يعقب قال الله عز وجل له ـ لا تَخَفْ إني لا يَخافُ لَدَيَّ المرْسلُونَ ـ وعلم أن موسى مستشعر خيفة أخرى من ذنبه في الرجل الذي وكزه فقضى عليه فقال ـ إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء ـ أي توبة وندماً فانه لا يخاف واني غفور رحيم . وبعض النحويين يجعل الا من ظلم بمعنى ولا من ظلم كقوله ـ لِئلاَّ يَكُونَ لِلناسِ عليكُمْ حُجةٌ إلاَّ الذينَ ظلمُوا ـ على مذهب من تأول هذا في إلا وكقوله في سورة الانفال بَعْدَ وَصف المؤمنينَ ـ كما أخرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بيتِكَ بالحقِّ ـ ولم يشبه قصة المؤمنين

باخراج الله إياه ولكن الكلام مردود الى معنى في أول السورة ومحمول عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى يوم بدر قلة المسلمين وكراهة كثير منهم للقتال فنفّل كلّ امريء ما أصاب وجعل لكل من قتل قتيلا كذا ولمن أتى بأسير كذا فكره ذلك قوم فتنازعوا واختلفوا وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه فأنزل الله تبارك وتعالى ـ يَسئلونك عن الانفال قل الانفالُ لله والرسول ـ يجعلُها لِمنْ يشاء ـ فاتقوا اللهَ وأصلِحوا ذاتَ بينكمْ ـ أي فرقوها بينكم على السواء ـ وأطيعوا اللهَ ورسولهُ ـ في ما بعدُ ـ إنْ كنتمْ مؤمنينَ ـ ووصف المؤمنين ثم قال ـ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون ـ يريد أن كراهتهم لما فعلته في الغنائم ككراهتهم للخروج معك كأنه قال من كراهتهم كما أخرجك وإياهمْ ربكَ وإنهم لكارهونَ . ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارها وجده كثيراً : قال الشاعر

فَلاَ تَدْفِنوني انَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ... عَلَيْكُمْ ولَكِنْ خامِري أمَّ عامِرِ

يريد لا تدفنوني ولكن دعوني للتي يقال لها اذا صيدت خامري أم عامر يعني الضبع لتأكلني : وقال عنترة

هَلْ تُبْلِغَنّي دارَها شَدَنِيَّةٌ ... لُعِنَتْ بمَخْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ

يريد دعي عليها بأن يحرم ضرعها ان يدر فيه لبن فاستجيب للداعي فلم تحمل ولم ترضع ومثل قول الآخر

[ تخدي بنا كلُّ خنوف فاسج ] ... مَلْعُونَةٌ بِعُقُرٍ أوْ خادِجِ

أي دعى عليها الا تحمل وان حملت ان تلقي ولدها لغير تمام واذا لم تحمل الناقة ولم ترضع كان أقوى لها . ﴿ ومن أمثال ﴾ عسى الغوير أبؤسا أي عسى أن يأتينا من قبل الغوير بأس ومكروه والغوير ماء ويقال هو تصغير غار . ومنه قوله جل ثناؤه ـ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ـ أى هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا مشتركة وفي الآخرة خالصة . ﴿ ومنه قوله ﴾ ـ إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه ـ أي يخوفكم بأوليائه كما قال ـ ليُنذِرَ بأساً شديداً ـ أي لينذركم بأس شديد ـ ويومئذ يتبعون الداعي لا عوجَ لهُ ـ أي لا عوج لهم عنه ـ ومن كان يُريدُ العِزَّةَ ـ أي ان يعلم العزة لمن هي و ـ ما أريدُ منهم من رزق ـ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم و ـ ما أريدُ أن يطعمون ـ أي أن يطعموا أحداً من خلقي . وأصل هذا ان البشر عباد الله وعياله فمن أطعم عيال رجل ورزقهم فقد رزقه وأطعمه اذ كان رزقهم عليه . ﴿ ومنه ﴾ ـ ألا يا اسجُدُوا لله الذي يُخرجُ الخبءَ في السموات ـ أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا : وقال الشاعر

* يا دارَ سَلْمَى يا سَلْمِي ثم اسْلَمِي * ﴿ ومن الاختصار ﴾ القسم بلا جواب اذا كان في الكلام بعده مايدل على جواب كقوله عز وجل ـ ق والقرآن المجيد. بل عَجِبوا أن جاءَهُمْ مُنْذِرٌ منهُمْ فقالَ الكافرُونَ هذا شيءٌ عَجيبٌ . أئذا متنا ـ نبعث ثم قالوا ذلك ـ رَجْعٌ بَعيدٌ ـ أي لا يكون وكذلك قوله ـ والنّازعات غرْقاً ـ الى قوله ـ فالمُدَبّرات أمراً ـ ثم قال ـ يومَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ ـ ولم يأت بالجواب لعلم السامع به إذ كان فيما

تأخر من قولهم دليل عليه كأنه قال والنازعات وكذا وكذا لتبعثن فقالوا اذا كنا عظاماً نخرة نبعث . ومن الاختصار قوله جل وعز ـ إلاَّ كَباسِط كفّيه إلى الماء لِيبلُغَ فاهُ ـ أراد كباسط كفيه الى الماء ليقبض عليه فيبلغه فاه : وقال ضابيء

فإنّي وإيّاكُمْ وشوقاً إليكُمُ كقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أناملُهْ

تسقه من الوسق وهو الحمل لم تسته لم تحمله والعرب تقول لمن تعاطى مالا يجد هو كالقابض على الماء ﴿ومنه﴾ أن تحذف لا والمعنى اثباتها كقوله تعالى ـ تاللهِ تَفْتَأُ تذْكُرُ يُوسُفَ ـ أي لا تزال تذكر يوسف وهي تحذف مع اليمين كثيراً : قال امرؤ القيس * فقُلْتُ يَمينَ اللهِ أبرَحُ قاعِداً وقال الآخر

فَلاَ وَأبي دَهْماءَ زالَتْ عَزيزَةً على قَوْمِها ما فَتَّلَ الزَّنْدَ قادِحُ

ومنه ـ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أن تَضِلُّوا ـ أي لئلا تضلوا وَانْ اللهَ يُمْسِكُ السمواتِ والارضَ أنْ تَزُولا ـ أي لئلا تزولا وقوله ـ كجهرِ بَعضِكُمْ لِبَعضٍ انْ تَحْبَطَ أعمالُكُمْ ـ ألاَّ تحبط أعمالكم . ﴿ومن الاختصار﴾ أن تضمر لغير مذكور كقول الله جل وعلا ـ حتى تَوارَتْ بالحجابِ ـ يعني الشمس ولم يجر لها ذكر قبل ذلك وقوله ـ وَلَوْ يؤاخذُ اللهُ الناسَ بما كَسَبوا ما ترك على ظهرها من دابة ـ يريد على ظهر الارض وقال ـ فأنْزَلْنَ بهِ نَقْعاً ـ يعني بالوادي وقال ـ إنْ كادَتْ لَتُبدي بهِ ـ أي بموسى عليه السلام أنه ابنها . وقال ـ وَالنهارِ إذا جَلاَّها ـ يعني الدنيا أو الارض وكذلك قوله ـ فَلا يخافُ عُقْباها ـ أي عقبى هذه الفعلة وقال ـ إنا أنزلناهُ في لَيْلَةِ

القدر ـ يعني القرآن فكنى عنه فى أول السورة وقال حميد بن ثور في أول قصيدة

وَصَهْباءَ مِنْها كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الْحَمْلَ حَتَّى زَادَ شَهْراً عَدِيدُها

أراد وصهباء من الابل : وقال حاتم

أماوِيَّ مايُغْنِيَ الثَّراءُ عَنَ الْفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

يعني النفس : وقال لبيدٌ رحمه الله

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَداً فِي كَافِرٍ ... وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

يعني الشمس بدت في المغيب : وقال طرفةُ

[ على مثلها أمضي اذا قال صاحبي ] ... أَلاَ لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْها وَأَفْتَدِي

يعني الفلاة : وأنشد الفراء

إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى اليْهِ ... وخالفَ والسَّفِيهُ إِلى خِلاَفِ

أراد جرى الى السفه : وقال الله عزوجل في أول سورة الرحمن ـ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ـ ثم ذكر قبل ذلك الانسان ثم خاطب الجان معه لأنه ذكرهم فقال ـ وخلقَ الجانَّ منْ مارِجٍ مِنْ نارٍ ـ ومثله قول المثقب العبديّ

فَمَا أَدْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضاً ... أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي

أَأَلْخَيْرُ الذي أَنا أَبْتَغِيهِ ... أَمِ الشَّرُّ الذِّي هُوَ يَبْتَغِينِي

فكنى عن الشر وقرنه في الكناية بالخير قبل أن يذكره ثم أتى به بعد ذلك .

﴿ ومن ذلك ﴾ حذف الصفات كقول الله عز وجل ـ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ـ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . وقوله ـ وَاخْتَارَ

موسى قَوْمَهُ سبعينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا ـ أي اختار منهم : قال العجاجُ

* تَحْتَ الَّتي اختارَ لَهُ اللهُ الشَّجَرْ * أي التي اختار له من الشجر وكقوله ـ مكَّناهُمْ في الأَرضِ ـ أي مكنالهم والعرب تقول عددتك مائة أي عددت لك وأستغفر الله ذنبي أي من ذنبي : قال الشاعر

أَسْتَغفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتَ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبادِ اليهِ الوَجْهُ وَالعَمَلُ

وشبعت خبزاً ولحماً وشربت ورويت ماء ولبناً وتعرضت معروفك ونزلتك ونأتيك وبت القوم وغاليت السلعة ونويت البصرة وسرقتك مالا وشغبت القوم واستجبتك : قال الشاعر

ودَاعٍ دَعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

وقوله عز وجل ـ إِنَّ العهدَ كانَ مسؤلاً ـ أي مسئولا عنه قال أبو عبيدة يقال لتسئلن عهدي . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصِيباً مِنَ الكتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ ويريدون أن تضلوا السبيل ـ أراد يشترون الضلالة بالهدى فحذف الهدى أي يستبدلون هذا بهذا . ومنه ـ أولئكَ الذينَ اشتَرَوُا الضلالةَ بالهدى ـ . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ لكنِ اللهُ يشهدُ بما أنزلَ اليكَ أنزلهُ بعلمه ـ لانه لما أنزل عليه ـ إنا أوحينا إليكَ كما أوحينا إلى نوحٍ ـ قال المشركون ما نشهد لك بهذا فمن يشهد لك به فترك ذكر قولهم وأنزل الله لكنِ اللهُ يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه يدلك على هذا أن لكن انما تجيء بعد نفي للشيء فتوجب ذلك الشيء بها . ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ وتركنا عليهِ في الآخرينَ ـ كأنه قال تركنا

ثناء حسناً فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد . ﴿ ومن الاختصار ﴾ قوله ـ فبعثَ اللهُ غُرَاباً يَبحثُ في الارض ـ أراد فبعث الله غراباً يبحث التراب على غراب ميت ليواريه ليريه كيف يواري سوءة أخيه . ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ فترى الذينَ في قلوبهم مرض يُسارِعونَ فِيهِمْ ـ أي في مرضاتهم « تمّ الباب والحمد لله » ﴿ غ ﴾ ( ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ) يعني اليهود ( وَمِنَ الذينَ أشرَكوا ) يعني المجوس وشركهم أنهم قالوا ـ بإلهَيْنِ النورِ والظُلمةِ ( يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ) أراد معنى قولهم لملوكهم في تحيتهم عش ألف نوروز ( وما هو بمزحزحه مِنَ العذابِ أنْ يُعمَّرَ ) أي بمباعده من العذاب طول عمره لأن عمره منقض وان طال ويصير الى عذاب الله ( قُل منْ كانَ عدُوّاً لجبريلَ منَ اليهودِ ) وكانوا قالوا لا نتبع محمداً وجبريل يأتيه لانه يأتي بالعذاب ( فانه نزله ) يعني فان جبريل نزل القرآن (على قلبك) ( نبذه فريق منهم ) تركه ولم يعمل به ( واتبعوا ما تتلوا الشياطِينُ على ملكِ سليمانَ ) أي ما ترويه الشياطين على ملك سليمان والتلاوة والرواية شيء واحد وكانت الشياطين دفنت تحت كرسيه سحراً وقالت للناس بعد وفاته انما ملك بالسحر يقول فاليهود تتبع السحر وتعمل به ( إنما نحنُ فِتنةٌ ) أي اختبار وابتلاء ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد يقال فتنت الذهب في النار اذا أدخلته إياها لتعلم جودته من رداءته قال الله جل وعز ـ ولقَدْ فَتَنّا الذينَ مِنْ قبلهمْ ـ أي اختبرناهم . وقال لموسى عليه السلام ـ وفتناك فتوناً ـ ﴿ ومنه ﴾ قوله ـ ثم لم تكنْ فِتنَتُهُمْ إلاّ أنْ قالوا واللهِ رَبّنا ما كنا مشرِكينَ ـ

أي جوابهم لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن الاختبار الا هـذا القول . والفتنة التعذيب قال الله عز وجل ـ إنَّ الذينَ فتَنوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لَمْ يتوبوا فلهمْ عذَابُ جهنمَ ـ أي عذبوا بالنار وقال ـ يوم هم على النار يفتنون ـ أي يعذبون ـ ذوقوا فتنتكم ـ يراد هذا العذاب بذاك وقال ـ فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ـ أي جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله. والفتنة الصد والاستزلال ـ قال واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ـ أي يصدوك ويستزلوك . وقال ـ وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك ـ وقال ـ وما أنتمْ عليه بفاتِنينَ إلاَّ منْ هو صالي الجحيمِ ـ أي صادين والفتنة الاشراك والكفر والاثم كقوله ـ وقاتِلوهمْ حتى لا تكونَ فتنةٌ ـ أي شرك وقال ـ والفتنة أشد من القتل ـ يعني الشرك . وقال ـ ألا في الفتنة سقطوا ـ أي في الاثم وقال ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ـ أي كفر أو اثم. وقال ـ ولكنكم فتنتم أنفسكم ـ أي كفرتم وأثمتموها . والفتنة العبرة كقوله ـ ولا تجعلنا فِتنةً لِلذينَ كفروا ـ أي يعتبرون أمرهم بأمرنا فاذا رأونا في ضر وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ظنوا أنهم على حق ونحن على باطل . وكذلك قوله ـ فتنَّا بعضَهُمْ ببَعضٍ ـ .

﴿غ﴾ والخلاق الحظ من الخير ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم أي لاحظ لهم في الخير (شروا به أنفسهم) أي باعوها يقال شريت الشيء وأنت تريد اشتريته وبعته وهو حرف من حروف الأضداد . والمثوبة الثواب والثواب والأجر هما الجزاء

على العمل (لا تقولوا راعنا )من راعيت الرجل اذا تأملته وتعرفت أحواله ومنه يقال أرعني سمعك وكان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا وأرعنا سمعك وكان اليهود يقولون راعنا وهي بلغتهم سب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرعونة وينوون بها السب فأمر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقولوها لئلا يقولها اليهود وان يجعلوا مكانها أنظرنا أي انتظرنا يقال نظرتك وانتظرتك بمعنى . ومن قرأ راعناً بالتنوين أراد اسماً مأخوذاً من الرعن والرعونة أي لا تقولوا حمقاً ولا جهلاً . (ماننسخ من آيةأو ننسها)أراد أو ننسكها من النسيان ومن قرأها أو ننسأها بالهمز أي نؤخرها ولا ننسخها الى مدة ومنه النسيئة في البيع انما هو البيع بالتأخير ومنه النسيء في الشهور انما هو تأخير تحريم المحرم ( نأتِ بخيرٍ منها) أي بأفضل منها ومعنى فضلها سهولتها وخفتها ( فقدضلّ سواءَ السبيلِ ) أي ضل عن وسط الطريق وقصده ( ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) نزلت في الروم حين ظهروا على بيت المقدس فخربوه فلا يدخله أحد منهم أبداً الا خائف( لهم في الدنيا خزي )أي هوان . وذكر بعض المفسرين أنه فتح مدينتهم رومية نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا في سفر فعميت عليهم القبلة فصلى ناس قبل المشرق وآخرون قبل المغرب وكان هذا قبل ان تحول القبلة الى الكعبة (كل له قانتون)مقرون بالعبودية موجبون للطاعة ( بديعُ السموات والارض )أي مبتدعهما ( لولا يكلمنا )أي هلا يكلمنا الله ( تشابهت قلوبهم )أي في الكفر

والفسق والقسوة ( ولا تنفعها شفاعة ) هـذا للكافر ليس له شافع فينفعه ولذلك قال الكافرون ـ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ـ حين رأوا شفيع الله في المسلمين ( ابتلى ابراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ ) أي اختبر الله ابراهيم بكلمات يقال هي عشر من السنة ( فاتمهن ) أي عمل بهن كلهن . ﴿ ش ﴾ (اني جاعلُكَ للناسِ إماماً ) أي يؤتم بك ويقتدى بسنتك هذا هو الاصل في الامام ثم يجعل الكتاب إماماً يؤتم بما أحصاه . قال ـ يوم ندعو كل أناس بامامهم ـ أي بكتابهم الذي جمعت فيه أعمالهم في الدنيا وقال ـ وكلَّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبينٍ ـ يعني كتاباً أو يعني اللوح المحفوظ . وقد يجعل الطريق إماماً لان المسافر يأتم به ويستدل قال الله عز وجل ـ وإنهما لبإمامٍ مبينٍ ـ أي بطريق واضح . ﴿ غ ﴾ ( ويعلمهُمُ الكتابَ والحكمةَ ) الحكمة العلم والعمل لا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما ( ويزكيهم ) التزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة قال ( يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ) فأصل الزكاة النماء والزيادة يقال زكا الزرع ومنه يقال للصدقة عن المال زكاة لانها تثمره وتنميه ومنه يقال زكا الزرع وزكت النفقة اذا بورك فيها ( جعلنا البيت مثابة للناس ) أي معاذاً لهم من قولك ثبت الى كذا أي عدت اليه وثاب جسمه بعد العلة أي رجع أراد أن الناس يعودون اليه مرة بعد مرة (العاكفين) المقيمين يقال عكف على كذا أي أقام عليه ومنه ـ قوله وانظر الى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً ـ ومنه الاعتكاف انما هو الاقامة في المسجد على الصلاة والذكر لله والقواعد من البيت اساسه واحدتها قاعدة . فاما

قواعد النساء فواحدتها قاعد وهي العجوز (أرنا مناسكنا) أي أعلمنا . ﴿ ش ﴾ الرؤية هنا بمعنى العلم ومنه ـ ويرى الذينَ أوتوا العلمَ ـ أي ويعلم وقال ـ لتحكُمَ بينَ الناس بما أراكَ اللهُ ـ أي أعلمك الله . وقوله ـ أولَمْ يرَ الذينَ كفرُوا أنَّ السموات والأرضَ كانتا رَتْقاً ففَتَقْناهما ـ وقال المفسرون في قوله ـ ألم ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ـ ألم تخبر وكذلك أكثر ما في القرآن . والرؤية المعاينة في غير هذا في قوله ـ ترى الذينَ كذَبوا على اللهِ وُجوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ . وإذَا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نَعِيماً ـ أي اذا عاينت . ﴿ غ ﴾ ( إلا من سفه نفسه ) أي سفهت نفسه كما يقال غبن فلان رأيه والسفه الجهل ( فانما هم شقاق ) أي في عداوة ومباينة (الحنيف ) المستقيم وقيل للرّجل حنيف تطيراً الى الاستقامة (صبغة الله ) يقال دين الله أي إلزم دين الله . ويقال الصبغة الختان وهو من الاستعارة سمي الختان صبغة لأن النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء ويقولون هذا طهر لهم كالختان للحنفاء فقال الله عز وجل ـ صِبْغَةَ اللهِ ـ أي الزموا صبغته لا صبغة النصارى وردها على ملة ابراهيم عليه السلام ( جعلناكم أمة وسطاً ) أي عدلا خياراً ومنه قوله في موضع آخر ـ قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ـ أي خيرهم وأعدلهم : قال الشاعر هو زهير

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالي بِمُعْظَمِ

ومنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هو أوسط قريش حسباً . وأصل هذا أن خير الاشياء أوساطها وأن العلو والتقصير مذمومان ( لتكونوا شهداء

على الناس ) أي على الأمم المتقدمة لأنبيائهم ( شطر المسجد الحرام ) نحوه وقصده (ولكل وجهة) أي قبلة (هو موليها) أي موليها وجهه أى مستقبلها يريد أن كل ذي ملة له قبلة ( لِئلاّ يَكونَ لِلنّاسِ عليكُمْ حُجّةٌ الا الّذِينَ ظَلَمُوا ) أى الا ان يحتج عليكم الظالمون بباطل من الحجج وهو قول اليهود كنت أنت وأصحابك تصلون الى بيت المقدس فان كان ذلك ضلالا فقد مات أصحابك عليه وان كان هدى فقد حولت عنه فأنزل الله تعالى ـ وما كانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكُمْ ـ أي صلاتكم الى بيت المقدس أي فلم تكن لأحد حجة (أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم) أى مغفرة (فلا جناح عليه ان يطوف بهما) أى ان يتطوف فأدغمت التاء في الطاء وكان المسلمون في صدر الاسلام يكرهون الطواف بينهما لصنمين كانا عليهما حتى أنزل الله وقرأ بعضهم أن لا يطوف بهما وفي هذه القراءة وجهان أحدهما أن يجعل الطواف مرخصاً في تركه بينهما والوجه الآخر أن تجعل لا مع أن صلة كما قال ـ ما مَنَعَكَ أن لا تَسْجُدَ ـ هذا قول الفراء ( ويَلْعَنُهُمَ اللاّعِنونَ ) قال ابن مسعود إذا تلاعن اثنان وكان أحدهما غير مستحق للعن رجعت اللعنة على المستحق بها فان لم يستحقها أحد منهما رجعت على اليهود . وقد ذكر أصل اللعن فيما تقدم ( الا الذينّ تابوا وَأصلحُوا وَبَيّنوا ) أى بينوا التوبة بالاخلاص والعمل : (والفلك) السفن واحد وجمع بلفظ واحد : (وتقطعت بهم الاسباب) يعني الاسباب التي كانوا يتواصلون بها في الدنيا (لو أنّ لنا كرة) أى رجعة ( كذلك يريهمُ الله أعمالهم حسرات عليهم) يريد

أنهم عملوا في الدنيا أعمالا لغير الله فضلت وبطلت ـ ولا تتبعوا خُطوات الشيطان ـ أى لا تتبعوا سُبُلَهُ ومسلكه وهي جمع خطوة والخطوة ما بين القدمين بضم الخاء والخطوة الفعلة الواحدة بفتح الخاء : واتباعهم خطواته أنهم كانوا يحرمون أشياء قد أحلها الله ويحلون أشياء حرمها الله (بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنا عَلَيْهِ آباءَنا) أى وجدنا عليه آباءنا (ومَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ) أراد ومثل الذين كفروا ومثلنا في وعظهم فحذف ومثلنا اختصاراً إذ كان في الكلام ما يدل عليه على ما تقدم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع هو الراعي يقال نعق بالغنم ينعق بها إذا صاح بها بما لا يسمع يعني الغنم لا تسمع (الا دعاء ونداء) حسب ولا تفهم قولا (فمن اضطُرَّ غير باغ) أى غير باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم (ولا عاد) عليهم بسيفه ويقال غير عاد عليهم في الأكل حتى يشبع ويتزود (وما أُهِلَّ به لغير الله) أي ما ذبح لغير الله وانما قيل ذلك لأنه يذكر عند ذبحه غير اسم الله فيظهر ذلك أو يرفع الصوت به : وإهلال الحج مثله انما هو إيجابه بالتلبية : واستهلال الصبي منه اذا ولد أي صوته بالبكاء (فما أصبرهم على النار) أى ما أجرأهم : وحكى الفراء عن الكسائي انه قال أخبرني قاضي اليمن أنه اختصم اليه رجلان فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له الآخر ما أصبرك على النار : ويقال ومنه قوله ـ اصبروا أو لا تصبروا ـ قال مجاهد رحمه الله ما أصبرهم على النار ما أعملهم بعمل أهل النار وهو وجه حسن يريد ما أدومهم على أعمال اهل النار بحذف الأعمال وقال أبو عبيدة ما أصبرهم على النار بمعنى

ما الذي أصبرهم على ذلك ودعاهم اليه وليس بتعجب ( ابن السبيل )الضيف (والصابرين في الباساء)أي في الفقر وهو من البؤس(والضراء)المرض والزمانة يقال فلان ضرير بين الضر ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد فأما الضر بفتح الضاد فهو ضد النفع كما قال جل وعز ـ هل يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تدعونَ أو ينفعونَكُمْ أو يضرونَ ـ والضر بضم الضاد الشدة والبلاء كقوله جل وعز ـ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ . ومهني الضر.وإذا مس الانسان الضر دعانا ـ والضر أيضاً قديكون النقص كقوله ـ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شيئاً وَسيُحْبِطُ أعمالَهُمْ ـ هكذا هو في الكتابين ﴿ غ ﴾(وحين البأس)يعني حين القحط قال الله عز وجل ـ وَإِذَا أَذَقْنا الناسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ـ أي قطر من بعد قحط وجدب ومنه أيضاً الضر ( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ في الْقَتْلى ) قال ابن عباس كان القصاص في بني اسرائيل ولم تكن الدية فقال الله عز وجل لهذه الأمة ( فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أخيه شَيْءٌ)قالَ قَبولُ الدِّيَةِ في الْعَمْدِ وَالْعَفْوُ عَنِ الدَّمِ ( فاتِّباعٌ بالمعْرُوفِ ) أي مطالبة بالمعروف يريد ليطالب آخذ الدية الجاني مطالبة جميلة لا يرهقه فيها( وأداء اليه باحسان) أي ليؤد المطالب ما عليه أداءٍ باحسان لا يبخسه ولا يمطله مطل مدافع ( ذلك تخفيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ) مما كان على من كان قبلكم يعني القصاص(ورحمة)لكم ( فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلك ) أي قتل بعد أخذ الدية ( فلهُ عذابٌ أليمٌ ) قال قتادة يقتل ولا تقبل منه الدية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعافي رجلا بعد أخذ الدية ( ولَكُمْ في الْقِصاصِ حياةٌ ) يريد أن سافك الدم

اذا أقيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل خوفاً على نفسه أن يقتل فكان في ذلك حياة ﴿ قال أبو محمد ﴾ في صدر المشكل وهذا من معجز القرآن ومما جمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلام : وقال الشاعر

أبلغ أبا مالك عني مغلغلة ... وفي العتاب حياة بين أقوام

يريد أنهم اذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفوا عن القتل وكان في ذلك حياة وأخذه المتمثلون فقالوا بعض القتل إحياء للجميع وقالوا القتل أقل للقتل . ﴿ غ ﴾ ( كُتِبَ عليكمْ إذَا حضَرَ أحدكم الموْتُ إنْ تَرَكَ خَيْراً ) أي مالاً ( الوصيّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بالمعْرُوفِ ) ان يوصي لهم ويقتصد في ذلك ولا يسرف ولا يضر وهذه منسوخة بالمواريث (فمن بدله بعد ماسمعه) أي بدل الوصية فإثم ما بدل عليه : الجَنَفُ الميل عن الحق يقال جنف يجنف جنفاً : يقول إن خاف أى علم من الرجل في وصيته ميلا عن الحق فأصلح بينه وبين الورثة وكفه عن الجنف فلا إثم عليه أي على الموصي قال طاوس هو الرجل يوصي لولد ابنته يريد ابنته ( كُتِبَ عليكُمُ الصيامُ ) أي فرض ( فَمَنْ كانَ مِنكُمْ مَرِيضاً أو على سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيامٍ أُخَرَ ) أي فعليه عدة من أيام أخر مثل عدة ما فاته ( وعلى الذين يُطيقونه فِدْيَةٌ طَعَامُ مسكينَ فَمَنْ تَطوّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ) وهذا منسوخ بقوله ـ فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ـ والشهر منصوب لأنه ظرف ولم ينصب بايقاع شهد عليه كأنه قال فمن شهد منكم في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم

لأن الشهادة للشهر وقد تكون للحاضر والمسافر (فليستجيبوا لي) أي يجيبوني هذا قول أبي عبيدة وأنشد

ودَاعٍ دَعَا يا مَنْ يُجِيبُ إِلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

أي فلم يجبه : الرفث الجماع ورفث القول هو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه من ذكر النكاح (تختانون أنفسكم) أي تخونونها بارتكاب ما حرم الله عليكم ﴿ ش ﴾ . قال أبو محمد الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الامانة وفيه يقال كل خائن سارق وليس كل سارق خائناً والقطع يجب على السارق ولا يجب على الخائن لأنه مؤتمن قال النمر بن تولب

وَإِنَّ بَنِي رَبِيعَةَ بَعْدَ وَهْبٍ كَرَاعِي الْبَيْتِ يَحْفَظُهُ فَخَانَا

ويقال لناقض العهد خائن لأنه أمن بالعهد وسكن اليه فغدر ونكث قال الله عز وجل ـ وَإِما تخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فانبذ اليهم ـ أي نقضاً للعهد وكذلك قوله ـ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كنتم تختانُونَ أَنفُسَكُمْ ـ أي تخونونها بالمعصية . ومن المشكل ايضاً من باب الاستعارة قوله تعالى (هنّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهنّ) لما كانت المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد ويتضامان كان كل واحد منهما للآخر بمنزلة اللباس قال الجعدي

إِذَا ما الضَّجِيعُ ثَنَى عِطْفَهَا تَدَلَّتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسَا

﴿ غ ﴾ (وابتغوا ما كتب الله لكم) يعني من الولد أمر تأديب لا فرض (وَ كُلوا وَاشْرَبوا) أمرُ إباحةٍ (حتى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الابْيَضُ) وهو

بياض النهار من الخيط الأسود وهو سواد الليل ويتبين هذا من هذا عند الفجر الثاني (عاكِفُونَ في المساجد) أي مقيمون العاكف المقيم في المسجد الذي أوجب العكوف فيه على نفسه (ولا تأكلوا أموالَكُمْ بينَكُمْ بالباطِلِ) أي لا يأكل بعضكم مال بعض بشهادات الزور (وتدلوا بها الى الحكام) أي تدلي بمال أخيك الى الحاكم ليحكم لك به وأنت تعلم أنك ظالم له فان قضاءه لك باحتيالك في ذلك عليه لا يحل لك شيئاً محرماً عليك ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار. وقوله (وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها) قال الزهري كان ناس من الانصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شيء يتحرجون من ذلك فكان الرجل منهم يخرج مهلا بها فتبدو له الحاجة فيرجع فلا يدخل من باب الحجرة من أجل [إهلاله] ولكنه يقتحم الجدار من وراء ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته وكانت قريش وحلفاؤها الحمس لا يبالون بذلك فأنزل الله سبحانه وتعالى ـ وليس البِرّ بأن تأتوا البيوتَ من ظُهُورِها وَلَـكِنِ البِرّ مَنِ اتقَى ـ أي بر من اتقى كما قال ـ ولَـكِنّ البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ ـ أي بر من آمن بالله (وقاتِلوا في سبيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقاتِلونَكُمْ ولا تعتدوا) أي لا تعتدوا على من وادعكم بخير وعاقدكم (واقتلوهم حيثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي حيث وجدتموهم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) يعني من مكة. (والفتنة أشد من القتل) يقول الشرك أشد من القتل وكذلك قوله (وقاتِلوهُمْ حتى لا تكونَ

فِتنةُ ) أي شرك وقد تقدم في باب الفتنة ووجوهها من المشكل . وقوله (فإنِ انتهوا فلا عُدْوَانَ إلاَ على الظالمينَ ) أي لا سبيل وأصل العدوان الظلم وأراد بالعدوان الجزاء يقول لا جزاء ظلم الا على ظالم ( الشهرُ الحرامُ بالشهرِ الحرامِ والحرمات قصاص ) قال مجاهد فخرت قريش أن صدت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام فأقصه الله عز وجل فدخل عليهم من قابل في الشهر الحرام في البلد الحرام الى البيت الحرام وأنزل الله تعالى ـ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ـ (فان أحصرتم) من الاحصار وهو أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض أو كسر أو عدو يقال أحصر الرجل إحصاراً فهو محصر فإن حبس في سجن أو دار قيل قد حصر فهو محصور ( فما استَيْسَرَ مِنَ الهَدْي ) أي فما تيسر من الهدي وأمكن والهدي ما أهدي الى البيت وأصله هدي مشددة فخفف وقد قريء حتى يبلغ الهديُ محله بالتشديد واحده هدية ثم يخفف فيقال هدية (ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهَدْيُ محله) هو من حل يحل والموضع المحل الذي يحل فيه نحوه ( فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً مِنْ رَأْسِه فَفِدْيَةٌ ) أراد فحلق ففدية (من صيام) فحذف فحلق اختصاراً (أو نُسُكٍ) أي ذبح يقال نسكت لله أي ذبحت لله ( ألحَجُّ أشْهُرٌ مَعْلوماتٌ) شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ﴿ قال أبو محمد ﴾ في صدر الغريب وحج البيت مأخوذ من قولك حججت فلاناً اذا عُدت اليه مرةً بعد مرة قال الشاعر

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ الْمُزَعْفَرَا

أي يكثرون الاختلاف اليه لسودده ولا يكون ذلك لغيره ونحوه قوله ـ وَإِذْ جعلنا البيتَ مثابةً للناسِ ـ أي يثوبون اليه يعني يعودون اليه في كل عام(فمنْ فرضَ فِيهنّ الحجَّ) أي أحرم. ﴿ش﴾ قال أبو محمد الفرض أصله وجوب الشيء يقال فرضت عليك كذا أي أوجبته عليك وفرض الحج أي أوجبه على نفسه وقال ـ فنصف ما فرضتم ـ أي الزمتم أنفسكم وقال ـ قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم ـ أي الزمناهم ومنه قوله في آية الصدقات بعدَ أنْ عَدّدَ أهلها ـ فَرِيضةً مِنَ اللهِ ـ وقيل للصلاة المكتوبة فريضة وقيل لسهام الميراث فريضة وقال ـ قد فرضَ اللهُ لكمْ تحِلّةَ أيمانِكُمْ ـ أي اوجب لكم ان تكفروا إذا حلفتم وبعض المفسرين يجعلها بمعنى بين لكم كيف تكفرون عنها قال ومثله ـ سورةٌ أنزلناها وفرضناها ـ أي بيناها. ويجوز في اللغة ان يكون فرضناها معناه اوجبنا العمل بما فيها وقال ـ إنَّ الذي فرضَ عليكَ القرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعادٍ ـ قال المفسرون فيه انزل عليك القرآن وقد يجوز في اللغة ان تكون اوجب عليك العمل بما فيه . وقال ـ ما كانَ على النّبي مِنْ حرَجٍ فيما فرضَ اللهُ لَهُ ـ قال المفسرون فيما أحل الله له وقد يجوز ان يكون فيما اوجب له من النكاح بعد نكاح اكثر من اربع . ﴿غ﴾ (فلارفث)اى فلا جماع(ولا فسوق)اى لا سباب (ولاجدال) اى لا مراء (ليسَ عليكمْ جُناحٌ انْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) اى نفعاً بالتجارة في حجكم(فاذا أفضتم من عرفات) اي دفعتم من عرفات (فاذكروا الله)

(ثم أفيضوا من حيثُ أفاضَ النـاسُ) كانت قريش لا تخرج من الحرم ويقولون لسنا كسائر الناس نحن أهل الله وقطان حرمه فلا تخرج منه وكان الناس يقفون خارج الحرم ويفيضون منه فأمر الله سبحانه وتعالى أن يقفوا حيث يقف الناس ويفيضوا أفاض النـاس (فاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أوْ أشدَّ ذِكراً) كان النـاس في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم ذكروا آباءهم بأحسن أفعالهم فيقول أحدهم كان يقري الضيف ويصل الرحم ويفعل كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى فاذكروني كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً فأنا فعلت ذلك بهم (آتِنا في الدنيا حسنةً) أى نعمة وقال في موضع آخر ـ إنْ تُصبْكَ حسنةٌ تَسُؤْهُمْ ـ أي نعمة (أولئك لهمْ نَصيبٌ مما كَسَبوا) أي لهم نصيب من حجهم بالثواب. ﴿ ش ﴾ (واللهُ سريعُ الحسابِ) أي المحاسبة كما قال ـ فسوفَ يحاسَبُ حِساباً يسيرا ـ أي محاسبة يسيرة سريعة. والحساب أيضاً الجزاء لانه يكون بالحساب والحساب الكثير قال الله عز وجل ـ عطاءً حِساباً ـ أي كثيراً ويقال أحسبت فلاناً أعطيته ما يحسبه أي يكفيه. ومنه قول الهذلي * حِسَابٌ ورَجْلٌ كالجَرادِ يَسُومُ * ﴿ غ ﴾ (وَاذْكُرُوا اللهَ في أيامٍ مَعْدُودَاتٍ) أيام التشريق. والايام المعلومات عشر ذي الحجة. (ألد الخصام) أشدهم خصومة يقال رجل ألد بين اللدد وقوم لد والخصام جمع خصم ويجمع على فعول وفعال يقال خصم وخصام (إذا تولَّى) أي فارقك. سعى في الارض أي أسرع فيها ليفسد. ﴿ ش ﴾ والسعي المشي قال فلما بلغ معه السعي يعني المشي ويقال المعاونة له على أمره

وقال ـ فاسعَوا الى ذكر الله ـ أي امشوا وقرأ بعض السلف فامضوا الى ذكر الله وقال ـ ثمّ ادْعُهُنَّ يأْتِينَكَ سَعْياً ـ أي مشياً كذلك قال بعض المفسرين والسعي العمل قال ـ فأولَئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مشكوراً ـ وقال ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها أي عمل لها عملها وقال ـ والذينَ سعوْا في آياتِنا مُعاجِزينَ ـ أي جدوا في ذلك وقال ـ إنّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى ـ أي مختلف وأصل هذا كله المشي والاسراع فيه . ﴿ غ ﴾ ( ويهلك الحرث ) يعني الزرع والنسل يريد الحيوان أي يحرق ويقتل ويخرب ( ولَبِئسَ المِهادُ ) أي الفراش ومنه يقال مهدت فلاناً إذا أوطأت له ومهد الصبي منه ( ومِنَ الناسِ منْ يَشْري نفسهُ ابتغاءَ مرْضاتِ اللهِ ) أي يبيعها يقال شريت الشيء بعته واشتريته وهو من الأضداد . ( ادخلوا في السلم كافة ) يعني في الاسلام ويقرأ في السلم بفتح السين وأصل السلم والسلم الصلح فإذا نصبت اللام فهو الاستسلام . قال ـ ولا تقولوا لمنَ ألقى اليكمُ السَّلَمَ ـ أي استسلم وانقاد هذا في الغريب وقال في المشكل يقال سلم فلان لأمرك واستسلم وأسلم أي دخل في السلم كما تقول أشتا الرجل دخل في الشتاء وأربع دخل في الربيع وأقحط دخل في القحط فمن الاسلام متابعة وانقياد باللسان دون القلب ومنه قول الله عز وجل ـ قالتِ الأعرابُ آمنا قُلْ لَمْ تؤمِنوا ولكنْ قولوا أسْلمنا ـ أي انقدنا من خوف السيف وكذلك قوله ـ ولهُ أسلمَ منْ في السمواتِ والارضِ طوعاً وكرْهاً ـ أي انقاد له وأقر به المؤمن والكافر ومن الاسلام متابعة وانقياد باللسان والقلب ومنه قوله عز وجل حكاية عن

ابراهيم عليه السلام ـ قالَ أسلمتُ لِرَبِّ العالمينَ وقالَ فَإِنْ حاجُّوكَ فَقُلْ أسلمتُ وجْهِيَ لِلّهِ ومَنْ اتّبعَنِ ـ أي انقدت له بلساني وعقدي والوجه زيادة كما قال ـ كلُّ شيْ هالِكٌ إلاَّ وجههُ ـ يريد إلا هو ـ إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ ـ أى لله . قال زيد بن عمرو بن نفيل في الجاهلية

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلالاَ

أى انقادت له المزن. ﴿ غ ﴾ (كافة) أي جميعاً (هل ينظرونَ الا أنْ يأتيهمُ اللهُ) أي هل ينتظرون الا ذلك يوم القيامة (وقُضِيَ الأَمرُ) أي فرغ منه (كانَ الناسُ أُمّةً واحِدَةً) اي ملةً واحدة يعني كانوا كفاراً كلهم . ﴿ ش ﴾ قال ابو محمد أصل الامة الصنف من الناس والجماعة فمعنى قوله كان الناس أمة واحدة اي صنفاً واحداً في الضلال فبعث الله النبيين وكذلك ـ الا أمم امثالكم ـ اي اصناف كل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله جلت قدرته وطلب الغذاء وتوقي المهالك والتماس الذرء مع اشباه لهذا كثيرة ثم تصير الأمة الحين كقوله جل ثناءه ـ وادَّكَرَ بعدَ أمةٍ ـ وكقوله ـ ولَئِنَ أخّرْنا عنهُمُ العذابَ الى أمةٍ معدودَةٍ ـ اي سنين معدودة كأن الأمة من الناس القرن ينقرضون في حين فتقام الأمة مقام الحين ثم تصير الامة الإمام والرباني كقوله ـ إنَّ ابراهيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلّهِ ـ اي إماماً يقتدي به الناس لانه ومن اتبعه أمة فسمي أمة لانه سبب الاجتماع وقد يجوز ان يكون سمي أمة لانه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله في أمة ومن هذا يقال فلان أمة وحده أي هو يقوم مقام أمة وقد تكون أمة

لجماعة العلماء وكقوله ـ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ـ اي معلمون . والأمة الدين قال ـ انا وجدنا آبانا على أمة ـ أي على دين قال النابغة

[ حلفت ولم أترك لنفسك ريبة ] وهل يا ثمن ذو أمة وهو طائع

أي ذو دين. والاصل أن يقال للقوم يجتمعون على دين واحد أمة فتقام الامة مقام الدين ولهذا قيل للمسلمين أمة محمد لانهم على أمر واحد فقال ـ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ـ أي مجتمعة على دين واحد وشريعة واحدة قال ـ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ـ أي مجتمعة على الاسلام. ﴿ غ ﴾ (مستهم البأساء) أي الشدة (والضراء) البلاء. (وزلزلوا) أي خوفوا وأرهبوا (يسلونك ماذا ينفقون) أي ماذا يعطون ويتصدقون ( قل ما أنفقتم ) أي ما أعطيتم (من خير ) أي من مال ( كتب عليكم القتال ) أي فرض عليكم الجهاد (وهو كره لكم) أي مشقة ( يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ) أي يسألونك عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز فأبدل قتالا من الشهر الحرام ( قل قتال فيه كبير ) أي القتال فيه عظيم عند الله وتم الكلام . ثم قال ( وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ) وخفض المسجد الحرام نسقاً على سبيل الله فكأنه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ( وكفر به ) أي بالله (واخراج أهله) أي أهل المسجد (منه أكبر عند الله) يريد من القتال في الشهر الحرام (والفتنة أكبر من القتل) أي الشرك أعظم من القتل (حبطت أعمالهم) أي بطلت والميسر القمار (ويسألونك ماذا ينفقون) أي ماذا يتصدقون ويعطون (قل العفو) يعني فضل المال يريد أن يعطي ما فضل عن قوته وقوت عياله يقال

خذ ما عفالك أي ما أتاك بلا اكراه ولا مشقة ومنه قوله عز وجل ـ خذِ العفوَ وأمرْ بالعرفِ ـ أي اقبل من الناس عفوهم وما تطوعوا به من أموالهم ولا تستقص عليهم (ويسألونَكَ عَنِ اليتامى قلْ اصلاحٌ لهم) أي تثمير أموالهم والتنزه عن أكلها لمن وليها خير (وان تخالطوهم) فتؤاكلوهم فهم اخوانكم حكمهم في ذلك حكم اخوانكم من المسلمين (واللهُ يعلمُ المفسدَ مِنَ المصلحِ) أي من يخالطهم على جهة الخيانة والافساد لأموالهم ومن كان يخالطهم على جهة التنزه والاصلاح (ولو شاء اللهُ لأعنتكمْ) أي ضيق عليكم وشدد ولكنه لم يشأ الا التسهيل عليكم ومنه يقال أعنتني فلان في السؤال إذا شدد علي وطلب عنتي وهو الاصرار يقال عنتت الدابة وأعنتها البيطار اذا ظلعت (ولا تنكِحوا المشركاتِ حتى يؤمنَّ) أي لا تتزوّجوا الاماء المشركات (ولا تنكحوا المشركينَ حتى يؤمنوا) أي لا تزوجوا المشركين حتى يؤمنوا (ولا تقربوهن حتى يطهرنَ) أي ينقطع عنهن الدم يقال طهرت المرأة وطهرت إذا رأت الطهر وان لم تغتسل بالماء ومن قرأ يطهرن أراد يغتسلن بالماء والاصل يتطهرن فأدغم التاء في الطاء (نساؤكم حرث لكم) كناية وأصل الحرث الزرع فاستعير لأن المرأة مزدرع للولد كما تزدرع الارض. (فأتوا حرثكم أنى شئتم) كيف شئتم ﴿ش﴾ ومثله ـ أنّى يحيي هذه الله بعد موتها ـ أي كيف يحيي هذه الله بعد موتها وتكون أنّى بمعنى من أين نحو قوله ـ قاتلَهُمُ اللهُ أنى يؤفكُونَ ـ أي من أين يؤفكون وقوله ـ أنى يكون لي ولدٌ ـ أى من أين يكون لي ولد والمعنيان

متقاربان يجوز أن يتأول في كل واحد منهما الآخر : قال الكميت

أَنَّى وَمِنْ أَيْنَ آبَكَ الطَّرَبُ ... مِنْ حَيْثُ لاَ صَبْوَةٌ وَلاَلَعِبُ

﴿ غ ﴾(وقدموا لأنفسكم ) في طلب الولد( ولا تجعلوا الله عُرْضَةً لأَيمانكم أن تبروا وتتقوا ) يقول لا تجعلوا الله بالحلف به مانعاً من أن تبروا وتتقوا ولكن اذا حلفتم على ان لا تصلوا رحماً ولا تتصدقوا ولا تصلحوا وعلى أشباه ذلك من أبواب البر فكفروا وأتوا الذى هو خير واللغو في اليمين ما يجري في الكلام على غير عقد ويقال اللغو أن تحلف على الشيء ترى أنه كذلك وليس كذلك يقول لا يؤاخذكم الله بهذا ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم أى ما تحلفون عليه وقلوبكم تتعمده ويعلم أنكم فيه كاذبون(يؤلون من نسائهم ) يحلفون يقال آليت من امرأتي أولى إيلاء إذا حلف أن لا يجامعها والاسم ألأية . (فإن فاؤا ) أى رجعوا الى نسائهم ( يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) وهي الحيض وهي الاطهار أيضاً واحدها قرء ويجمع أقراء أيضاً وقال الاعشى

وفي كُلِّ عامٍ أَنْتَ جاشِمُ غَزْوَةٍ ... تَشُدُّ لِأَقْصَاها عَزِيمَ عَزَائِكا

مُوَرِّثَةً مالاً وَفي الْحَيِّ رِفْعَةً ... لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكا

فالقروء في هذا البيت الاطهار لانه لما خرج للغزو لم يغش نساءه فأضاع قروءهن أى أطهارهن وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المستحاضة تقعد عن الصلاة أيام أقرائها أراد أيام حيضها : وقال الشاعر

يارُبَّ ذِي ضِغْنٍ عليَّ فارِضٍ ... لهُ قُرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحَائِضِ

فالقروء في هذا البيت الحيض يريد أن عداوته تهيج في أوقات معلومة كما تحيض المرأة في أوقات معلومة وانما جعل الحيض قرأ والطهر قرأ لان أصل القرء في كلام العرب الوقت يقال رجع فلان لقرئه أي لوقته الذي كان يرجع فيه ورجع لقارئه أيضاً : قال الهذلي

كَرِهتُ العُقْرَ عُقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ ... اذَا هَبَّتْ لقَارِئِهَا الرِّياحُ

أي لوقتها فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت (ولا يحلُّ لهن أن يكتمنَ ما خلق اللهُ في أرحامهن ) يعني الحمل ( وبعولتهن أحقُّ بردهن في ذلك ) يعني الرجعة مالم تنقض الحيضة الثالثة ولهن على الازواج مثل الذي للازواج عليهن ( وللرِّجالِ عليهنَّ ) في الحقِّ ( درجةٌ ) أى فضيلة (الطلاق مرتان ) يقول الطلاق الذي تملك فيه الرجعة تطليقتان ( فامساكٌ بمعروف ) بعد ذلك (أو تسريح باحسان) أي تطليق الثالثة باحسان ( إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله) أي يعلمان أنهما لا يقيمان حدود الله ( فإن خفتمْ ) أي علمتم ذلك ( فلا جناح عليهما ) أي لا جناح على المرأة والزوج فيما افتدت به المرأة نفسها من الزوج ( إن ظنّا أن يُقِيما حُدُودَ اللهِ ) أي علما انهما يقيمان حدود الله ( ولا تُمسِكُوهُنَّ ضِرَاراً ) كانوا اذا طلق الرجل امرأته فهو أحق برجعتها مالم تغتسل من الحيضة الثالثة . فاذا أراد أن يضر بامرأته تركها حتى تحيض الحيضة الثالثة ثم راجعها . ويفعل ذلك في التطليقة الثالثة فتطويله عليها هو الضرار ( ولا تعضلوهُنَّ ) أي لا تحبسوهن يقال عضل الرجل أيمه اذا منعها من التزويج ( إذَا تراضَوْا بينَهُمْ بالمعْرُوفِ ) يعني تزويجاً صحيحاً

(وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) أي على الزوج إطعام المرأة والولد والكسوة على قدر الجدة (لا تكلف نفس الا وسعها) أي طاقتها (لا تضار والدة بولدها) يعني لا تضارر ثم أدغم الراء في الراء أي لا ينزع الرجل ولدها منها فيدفعه الى مرضع أخرى وهي صحيحة لها لبن (ولا مولود له بولده) يعني الاب يقول اذا أرضعت المرأة صبيها وألفها دفعته الى أبيه تضاره بذلك. (وعلى الوارث مثل ذلك) يقول اذا لم يكن للصبي أب فعلى الوارث نفقته: والفصال الفطام يقال فصلت الصبي اذا فطمته ومنه قيل للحوار اذا قطع عن الرضاع فصيل لانه فصل عن أمه وأصل الفصل التفريق (فاذا بلغن أجلهن) أي منتهى العدة (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) أي لا جناح عليهن في التزويج الصحيح (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وهو أن يعرض للمرأة في عدتها بتزويجه لها من غير تصريح بذلك فيقول لها والله إنك لجميلة وإنك لشابة وإن النساء لمن حاجتي ولعل الله أن يسوق اليك خيراً هذا وما أشبهه

﴿ ش ﴾ (باب التعريض)

قال أبو محمد والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في كل شيء ويقولون لا يحسن التعريض الا ثلاثاً وقد جعله الله في خطبة النساء في عددهن جائزاً كما ذكر وروى بعض أصحاب اللغة أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون فلما صدروا خالف رجل في بعض الليالي الى

عكم صاحبه فأخذ منه برّا وجعله في عكمه فلما أرادا الرحلة وقاما ليتعا كمان رأى عكمه يثول وعكم صاحبه يثقل : فأنشأ يقول

عِكْمُ تَعَشَّى بَعْضَ اعْكَامِ الْقَوْمِ  لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمِ

نخون صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح : وروي في بعض الحديث أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مغزى كان فيه

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا حَفْصٍ رَسُولاً  فِدًى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ إِزَارِي
فَلاَ أَيْصَنَا هَدَاكَ اللهُ انَّا  حَبَسْنَا عَنْكُمُ زَمَنَ الْحِصَارِ
فَأَقْلُصُ وُجِذْنَ مُعَقَّلاتٍ  فَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ التِّجَارِ
يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدٌ شَيْظَمِيٌّ  وَبِئْسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤَارِ

فإنما كنى بالقلص وهي النوق الشواب عن النساء وعرض برجل يقال له جعدة يخالف الى المغيبات من النساء فقهم عمر رضي الله عنه ما أراد وجلد جعدة ونفاه : وقال عنترة

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ  حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ

يعرض بجارية يقول أي صيد أنت لمن حل له ان يصيدك فأما أنا فإن حرمة الجوار قد حرمتك عليّ ﴿ ومن التعريض ﴾ في القرآن العزيز ما خبر الله جل ثناؤه من نبإ الخصم ـ إذ دخلوا على داوُدَ ففزِعَ مِنهُمْ قالوا لا تخفْ خصمانِ بَغى بَعْضُنَا على بَعْضٍ فاحكُمْ بيننا بالحقّ ـ ثم قال ـ انَّ هذا أخي له تِسعٌ وتِسعونَ نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ فقال أكْفِلْنِيها وعزّني في الخطابِ ـ إنما هوَ مثلٌ ضَرَبَهُ اللهُ ونَبَّهَهُ على خطيئته به ـ وورى عن

ذكر النساء بذكر النعاج كما كنى الشاعر عن جارية بشاة وكنى الآخر عن النساء بالقلص وروى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله جل وعز حكاية عن موسى صلى الله عليه وسلم ـ لا تؤاخذني بما نسيت ـ لم ينس ولكنها من معاريض الكلام أراد ابن عباس رضي الله عنه أنه لم يقل له اني نسيت فيكون كاذباً ولكنه قال لا تؤاخذني فأوهمه النسيان تعريضاً ولم ينس ولم يكذب . ولهذا قيل ـ بأنّ المعاريض لمندوحةٌ عن الكذب ـ ومنه قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم إني سقيم أي سأسقم لأن من كتب عليه الموت لا بد من أن يسقم ومنه قول الله عز وجل ـ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ـ أي ستموت وسيموتون فأوهمهم بمعاريض الكلام انه عليل ولم يكن عليلا ولا كاذباً . وكذلك ما روي في الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته بأنها أختي لان بني آدم أجمعين يرجعون الى أبوين فهم اخوة ولان المؤمنين اخوة قال الله عز وجل ـ إِنما المؤمنونَ اخوَةٌ ـ وكذلك قوله ـ بَلْ فعلهُ كبيرُهُمْ هذا فَسْئَلوهُمْ إِنْ كانوا يَنطِقونَ ـ أراد بل فعله الكبير ان كانوا ينطقون فسئلوهم فجعل النطق شرطاً للفعل ان كانوا ينطقون فقد فعله وهو لا يفعل ولا ينطق . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات ما منها واحدة الا وهو يماحل بها عن الاسلام فسماها كذبات لانها شابهت الكذب وصارعته : قال بعض السلف رضي الله عنهم لأبيه يا بني لا تكذبن ولا تشبهن بالكذب فنهاه عن المعاريض لئلا يجري على

اعتيادها فيتجاوزها الى الكذب وأحب أن يكون حاجز من الحلال بينه وبين الحرام وسأذكر ما بقي من الباب في المواضع التي ذكرها ابن قتيبة ان شاء الله ﴿غ﴾ (ولكن لا تواعدوهن سراً) أي نكاحاً يقول لا تواعدوهن بالتزويج وهن في العدة تصريحاً بذلك وهذا من باب الاستعارة لان النكاح يكون سراً ولا يظهر فاستعير له السر: قال رؤبة

* فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْغَسَقْ * العسق الملازمة (الا أن تقولوا قولا معروفاً) لا تذكروا فيه نكاحاً ولا رفثاً (ولا تَعْزِموا عُقْدَةَ النِّكاحِ) أي لا تواقعوا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله يزيد حتى تنقضي العدة التي كتب على المرأة أن تعتدها أي فرض عليها (واعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في أَنْفُسِكُمْ فاحذَرُوهُ) أي يعلم ما تحتالون به في ذلك على مخالفة ما أراد فاحذروه (أو تفرضُوا لهنَّ فريضةً) يعني المهر (ومتعوهنَّ على الموسعِ قَدَرُهُ) أي اعطوهن متعة الطلاق على قدر الغنى والفقر (فنصفُ ما فرضتُم) من المهر أي فلهن نصف ذلك (الا أَنْ يعفون) أي يهبن (أو يعفوَ الذي بيده عقدةُ النكاح) يعني الزوج وهذا في المرأة تطلق قبل أن يدخل بها وقد فرض لها المهر فلها نصف ما فرض لها الا أن تهبه أو يتم لها الزوج الصداق كاملا وقد قيل ان الذي بيده عقدة النكاح الأب يريد الا أن يعفو النساء عما يجب لهن من نصف المهر أو يعفو الأب عن ذلك فيكون العفو جائزاً عن ابنته (وأن تعفُوا أَقربُ للتقوى ولا تنسوُا الفضلَ بينَكم) حضهم الله عز وجل على العفو ﴿ش﴾ قال أبو محمد والنسيان ها هنا الترك أي

لا تتركوا الفضل بينكم قوله ـ ولَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ منْ قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ـ أي ترك عهده والنسيان أيضاً ضد الحفظ كقوله تعالى ـ إِني نَسِيتُ الْحوتَ. ولاتؤاخِذْني بما نَسِيتُ ـ ﴿ غ ﴾ (والصلاةُ الوسطى) صلاة العصر لأنها بين صلاتين في النهار وصلاتين في الليل وأعيد ذكر الصلاة الوسطى وهي من الصلوات ترغيباً فيها وتشديداً لأمرها وهو من باب التكرير والزيادة المستعمل في كلامهم ونظيره قوله ـ فيها فاكِهَةٌ ونَخْلٌ ورُمَّانٌ ـ وهما من الفاكهة فأعيد النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما وسترى باب التكرار والزيادة ان شاء الله ( وقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ ) أي مطيعين ويقال قائمين ويقال ممسكين عن الكلام . ﴿ ش ﴾ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت يعني طول القيام . وقال الله عز وجل ـ أَمَّنْ هو قانِتٌ آناء الليل ساجِداً وَقائِماً ـ أي أمن هو مصل فسمى الصلاة قنوتاً لانها بالقيام تكون . وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم يعني كمثل المصلي الصائم ثم قيل للدعاء قنوت لانه إنما يدعو به قائماً في الصلاة قبل الركوع أو بعده . وقيل للامساك عن الكلام في الصلاة قنوت لان الامساك عن الكلام يكون في القيام لا يجوز لأحد أن يأتي فيه بشيء غير القرآن . قال زيد بن أرقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فنهينا عن الكلام وأمرنا بالسكوت . ﴿ والقنوت ﴾ الاقرار بالعبودية كقوله ـ وله من في السموات والأرض كلٌّ لَهُ قانِتونَ ـ أي مقرون

بعبوديته . والقنوت الطاعة كقوله ـ والقانِتينَ والقانِتاتِ ـ أي المطيعين والمطيعات . وقوله ـ إنَّ ابْرَاهيمَ كانَ أمَّةً قانِتاً لِلّهِ ـ فمعناه كان مطيعاً . قال أبو محمد ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة لان جميع هـذه الخلال من الصلاة والقيام فيها والدعاء وغير ذلك يكون عنها . ﴿غ﴾ (فإن خفتم) يريدان خفتم عدوًّا (فرجالاً) أي مشاة جمع راجل مثل قائم وقيام (أو ركباناً) يقول تصلي ما أمنت قائماً فإذا خفت صليت راكباً أو ماشياً والخوف ها هنا بالتيقن لا بالظن (ألم ترَ الى الذينَ خرَجوا مِنْ دِيارِهِمْ) على جِهةِ التَّعجُّبِ كما تقول ألا ترى ما يصنع فلان (الملاء من بني اسرائيل) وجوههم وأشرافهم (وزاده بسطةً في العلمِ والجسمِ) وهو من قولك بسطت الشيء اذا كان مجموعاً ففتحته ووسعته (إنَّ آيةَ ملكه) أي علامة ملكه السكينة فعيلة من السكون (وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى وآلُ هرونَ) يقال بقية من المن الذي كان ينزل عليهم وشيء من رضاض الألواح (مَبْتَليكُمْ بِنَهَرٍ) أي مختبركم (قالَ الذينَ يَظُنُّونَ أنَّهُمْ مُلاقُوا اللهِ) أي يعلمون : الفئة الجماعة (أفْرِغْ علينا صَبْراً) أي صبه علينا كما يفرغ الدلو (ولا خُلَّةَ) أي ولا صداقة تنفع يومئذ ومنه الخليل : والسنة النعاس من غير نوم قال ابن الرقاع

وَسْنَانَ أقْصَدَهُ النُّعاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

فاعلمك أنه وسنان أي ناعس وهو غير نائم وفرق الله سبحانه وتعالى بين السنة والنوم بذلك على ذلك (ولا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) أي لا يثقله يقال آده الشيء يؤوده وآده يئيده والوأد الثقل (لا انفصامَ لها) لا انكسار لها يقال

فصمت القدح إذا كسرته وقصمته (أَلَمْ تَرَ الى الذي حاجَّ إِبْرَاهِيمَ في رَبِّهِ آنْ أتاهُ اللهُ الْمُلْكَ) فأعجب بنفسه وملكه (قال أنا أحيي وأميت) أي أعفو عمن استحق القتل فأحييه وأميت أقتل من أريد قتله فيموت (فَبُهِتَ الذي كَفَرَ) أي انقطعت حجته (أوْ كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِهَا) أي خراب عروشها سقوفها وأصل ذلك أن تسقط السقوف ثم تسقط الحيطان عليها (ثم بَعَثَهُ) أي أحياه (لم يتسنه) لم يتغير بمر السنين عليه واللفظ مأخوذ من السنة يقال سانهت النخلة إذا حملت عاماً وخابت عاماً: قال الشاعر

لَبِسَتْ بِسَنْهَاءَ وَلا رجَبِيَّةٍ ولَكِنْ عَرَايَا في السِّنِينَ الْجَوَائِحِ

وكأن سنة من المنقوص وأصلها سنهة فمن ذهب الى هذا قرأها في الوصل والوقف بالهاء يتسنه. وقال أبو عمرو الشيباني لم يتسنن لم يتغير من قوله ـ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ـ فأبدلوا النون من يتسنن فاء كما قالوا تظللت وقصيت أظفاري وخرجنا نتلعى أى نأخذ اللعاع وهو بقل ناعم (ولِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلناسِ) أي دليلا وعلماً على قدرتنا وأضمر فعلنا ذلك (كيف ننشرها) بالراء أي نحييها يقال أنشر الله الميت فنشر وقال ـ ثم إذا شاء أنشره ـ ومن قرأ ننشزها بالزاي فمعناه نحرك بعضها الى بعض ونزعجه: ومنه يقال نشز الشيء ونشزت المرأة على زوجها وقرأ الحسن ننشُرها كأنه من النشر عن الطي أو على أنه يجوز أنشر الله الميت ونشره إذا أحياه. قال أبو محمد ولم أسمع به في فعل وأفعل (قالَ اوَلَمْ تُؤْمِنْ قالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) بالنظر

كأن قلبه كان معلقاً بأن يرى ذلك فإذا رآه اطمأن وسكن وذهبت عنه محبة الرؤية (فصُرهنَّ اليك) أي فضمهنَّ اليكَ يقال صرت الشيء فانصار أي أملته فمال وفيه لغة أخرى صرته بكسر الصاد (ثم اجعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنهُنَّ جُزْأً) أي ربعاً من كل طائر فاضمر فقطِّعهن واكتفى بقوله ثم اجعل على كل جبل من قوله ـ فقطعهن ـ لانه يدل عليه وهذا كما تقول خذ هذا الثوب واجعل على كل رمح عندك منه علماً (ثم ادْعُهُنَّ يأتِينَكَ سَعْياً) يقال عدواً ويقال مشياً على أرجلهن ولا يقال للطائر إذا طار سعى: والصفوان الحجر: والوابل أشد المطر: والصلد الأملس (وتثبيتاً من أنفسهم) أي تحقيقاً من أنفسهم: الربوة: الارتفاع ويقال رِبوة ورَبوة أيضاً (أُكلها) ثمرها الطل اضعف المطر: الإعصار ريح شديدة تعصف وترفع تراباً الى السماء كأنه عمود قال الشاعر

* إنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لاَقَيْتَ إعْصَارا * أي لاقيت ما هو أشد منك.

﴿ غ ﴾ قال أبو محمد قوله (أيودُّ أحدُكُمْ أنْ تكُونَ لَهُ جَنَّة منْ نَخِيلٍ وَأعْنَابٍ) الى قوله فاحترقت هذا مثل ضربه الله للمنافقين والمرائين بأعمالهم) لا يريدونه بشيء منها يقول يردون يوم القيامة على أعمالهم قد محقها الله وأبطلها ووكلهم في ثوابها الى ما عملوا له أحوج ما كانوا إلى أعمالهم فمثلهم كمثل رجل كانت له جنة فيها من كل الثمرات واصابه الكبر فضعف عن الكسب وله أطفال لا يجدون عليه ولا ينفعونه فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت فقدها أحوج ما كان اليها عند كبر السن

وضعف الحيلة وكثرة العيال وطفولة الولد وهذا معنى قول ابن عباس وغيره وقد ضرب الله جل ثناؤه لهم مثلا قبل هذا فيه هذا المعنى بعينه فقال (كالذي يُنفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ ولا يؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ. فمثلُهُ كمثلِ صفوانٍ عليه ترابٌ فأصابهُ وابلٌ فتركَهُ صلداً لا يقدرونَ على شيء مما كسبوا) يريد أنه محق كسبهم فلم يقدروا عليه حين حاجتهم اليه كما أذهب المطر التراب عن الصفا ولم يوافق في الصفا منبتاً ثم ضرب مثلا للمخلصين فقال (الذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُمْ ابتغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وتَثْبيتاً مِنْ أنفُسِهِمْ) أي تحقيقاً من أنفسهم (كمثلِ جنةٍ بربوةٍ) وأحسن ما يكون الجنان والرياض على الربا (أصابها وابلٌ) وهو أشد المطر فأضعفت في الحمل ثم قال (فإن لَمْ يُصبها وابلٌ) (فأصابها طل) وهو أضعف المطر فتلك حالها في النزل وتضاعف الثمرة ولا تنقص بالطل عن مقدارها بالوابل ﴿غ﴾ (أنفِقُوا مِنْ طيِّباتِ ما كَسَبْتُمْ) يقول تصدقوا من طيبات ما تكسبون الذهب والفضة (ومما أخرجنا لكُمْ مِنَ الأرْضِ ولا تَيَمَّمُوا الخَبيثَ مِنهُ تُنفِقُونَ) أي لا تقصدون للردي والخشف من التمر ومالا تأخذونه أنتم إلا بالاغماض فيه أي بأن تترخصوا (يوفَّ اليكم) أي توفون أجره (يَحْسِبُهُمُ الجاهِلُ أغنياء) لم يرد الجهل الذي هو ضد العقل وانما أراد الذي هو ضد الخبرة يقول يحسبهم من لا يخبر أمرهم (لا يَسْئَلُونَ النّاسَ إلحافاً) أي إلحاحاً يقال الحف في المسئلة اذا ألح (الذينَ يأكُلُونَ الرِّبا لا يقومون) من قبورهم يوم القيامة (إلا كما يقومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ من المسِّ) أي من

الجنون يقال رجل ممسوس ﴿ ش ﴾ قال أبو محمد فالناس اذا بعثوا من قبورهم خرجوا مسرعين يقول الله تبارك وتعالى ـ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الاجداثِ سِرَاعًا كأنهُمْ إلى نُصُبٍ يوفضونَ ـ أي يسرعون الا أكلة الربا فإنهم يقومون ويسقطون كما يقوم الذي يتخطبه الشيطان ويسقط لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم فهم ينهضون ويسقطون ويريدون الاسراع فلا يقدرون ( فأذَنوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ ) أي اعلموا ومن قرأها فآذنوا أراد آذنوا غيركم من أصحابكم يقال آذنني فآذنت (فَنَظِرَةٌ الى ميسرةٍ )أي انتظار الى اليسار ( وأن تصدقوا )مالكم على المعسر ( خير لكم)(وَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بالْعَدْلِ)أي وليُّ الحق ( أنْ تَضِلَّ إحْدَاهما ) أي تنسى احداهما الشهادة ( فتذكرها الاخرى ) ومنه قول موسى عليه السلام ـ فَعَلْتُهَا إذاً وَأنا مِنَ الضَّالِّينَ ـ أي من الناسين(ولا تَسْأَمُوا) أي لا تملوا(أنْ تكتبوهُ صغيراً )من الدين كان( أو كبيراً ) (أقسط عند الله)أعدل (وأقوم للشهادة)لان الكتابة تذكر الشهود جميع ما شهدوا عليه ( وأدْنى أنْ لا تَرْتابوا )أن لا تشكُّوا ( الا أنْ تَكُونَ تِجَارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها )أي تتبايعونها ( ولا يُضَارَّ كاتِبٌ ) فيكتب مالم يملل عليه ( ولا شَهِيدٌ ) فيشهد بمالم يشهد عليه ويقال هو أن يمتنعا إذا دعيا ويقال لا يضار كاتب أي يأتيه فيشغله عن سوقه وضيعته هذا قول مجاهد رحمه الله والكلبي (فَرِهَانٌ مقبوضةٌ )جمع رهن ومن قرأ فرهُن أراد جمع رهان فكأنه جمع الجمع ( لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ ) أحد في معنى جميع كأنه قال لا نفرق بين رسله